

إهداء ..
الى سليم پاشا الباباني
و جميع أمراء بابان العظام

بسم الله الرحمن الرحيم
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ

«سورة يوسف،

الايه (١١)»

39	- سليم پاشا الباباني.. نسبه..مولده.. نشأته
41	- سليم پاشا ونادر شاه الافشاري وتحدي النفوذ العثماني
42	- موقف السلطات العثمانية من سليم پاشا
49	- الموقف الداخلي من سليم پاشا وحركاته
58	- نهاية سليم پاشا
61	- نظرة سريعة في شخصية سليم پاشا وحركاته
63	- قائمة مصادر الكتاب
79	- ملخص باللغة الكردية
82	- ملخص باللغة الأنكليزية
88	

الفهرس...

7	- مقدمة بقلم الدكتور اسماعيل حقي شاويس
9	- كلمة المؤلف
11	- نبذة عن نشأة إمارة بابان
	البحث الأول (العلاقات السياسية بين إمارة بابان وايلة بغداد ، ١٧٠٣-١٧٢٨)
19	- تمهيد
19	- إمارة بابان وايلة بغداد والتبعية الادارية
20	- عهد بكر بگ.. صفحة التحدي
24	
27	- عهد خانه پاشا.. الوثام والخصام

البحث الثاني (سليم پاشا الباباني وتحدي النفوذ العثماني /
صفحة من تاريخ العلاقات البابانية العثمانية في القرن ١٨)

39

- تمهيد

قد بلغتنا نتيجة تطوراتهما الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الى حالة قررنا فيها القضاء على نفوذ الامارات الكردية بغرض تقوية السلطة المركزية، فحصل اتفاق بين الدولتين على هذه السياسة المشتركة، وبذلك تحولت السياسة الازدواجية التي اتبعتها بابان والامارات الكردية الاخرى من مبدأ قوة الى نقطة ضعف، اذ شكلت عاملاً مهماً لأنها تلك السلطات الكردية. تتكون هذه الدراسة التي أمام أنظار القراء الكرام من بحثين للسيد (سعدي عثمان) المدرس في قسم التاريخ كلية الاداب جامعة صلاح الدين - أربيل وهو طالب الدكتوراه في الوقت نفسه. أما البحثان المذكوران فهما:

- ١- سليم پاشا الباباني وتحدي النفوذ العثماني / صفحة من تاريخ العلاقات البابانية العثمانية في القرن ١٨.
- ٢- العلاقات السياسية بين اماره بابان وايله بغداد (٣٠١٧-١٧٠٣م).

ومن الواضح ان هذين الموضوعين يشكلان جزءاً من تاريخ إمارة بابان السياسي وبالتحديد سير علاقات الامارة مع السلطات العثمانية والى حد ما مع ايران أيضاً، كما تلقى هذه الدراسة الضوء على تلك المحاولات التي بذلها امراء بابان للتخلص من النفوذ العثماني والمحافظة على سلطاتهم المستقلة نوعاً ما، وذلك بالاستفادة من ظروف الصراع العثماني الايراني، وكثيراً ما وقع زعماء تلك المحاولات ضحايا ذلك الصراع وعدم تكافؤ القوى. وقد أعتمدت الدراسة على عدد كبير من المصادر التاريخية الأصيلة والشمينة، كما أستند الباحث على منهج علمي أكاديمي لأنجاز الدراسة المذكورة التي تسد فراغاً بيناً من تدوين تاريخنا القومي الحديث.

أربيل - ٢٤/٧/٢٠٠٠

بقلم: الدكتور دلير اسماعيل حقي شاويس جامعة صلاح الدين - أربيل

تعد إمارة بابان من الامارات الكردية التي لعبت دوراً مؤثراً في تاريخ كردستان من النواحي السياسية والأقتصادية والأجتماعية، فتركت لنا تراثاً حضارياً عظيماً من الثقافة واللغة والادب والعلم بالاضافة الى مدينة السليمانية التي تعد بحد ذاتها أنجازاً حضارياً كبيراً.

كما كان موقع الامارة الجغرافي يعتبر عاملاً اًضافياً لازدياد أهمية تاريخ هذه الامارة الكردية، إذ كانت تدخل ضمن اطار النفوذ العثماني ولكنها تقع مباشرة على خط الحدود والمواجهة بين الدولة العثمانية وايران، فانعكس الصراع القائم بين هاتين القوتين العظمتين على تاريخ بابان بوضوح. ورغم ان القوات البابانية كانت تشكل جزءاً من الجيش العثماني، لتقف ضد ايران مدافعةً عن الحدود العثمانية مرات عديدة، ولكنها خرجت عن هذا الاطار في أحيان أخرى، وذلك حينما كان أمراء بابان يتخذون موقف الحياد من ذلك الصراع، ولم يكونوا يكتفون بالامتناع عن تقديم العون للدولة العثمانية في بعض الأحيان، بل كانوا يعاضدون عدوتها التقليدية ايران، اذ كانوا يسترشدون في هذه المواقف بمصالحهم الذاتية المتمثلة في الحفاظ على استقلال سلطات الامارة.

ان هذه السياسة الازدواجية واتباع البابانيين لسياسة اللعب على حبلين بين الدولتين العثمانية والايرانية كانت تشكل نقطة ارتكاز قوية في نفوذهم السياسي. فلم تستطع السلطات العثمانية ان تمارس النفوذ على الامارة الا من الناحية الاسمية، ولكن الدولتين العثمانية والايرانية

إمارة بابان في النصف الاول من القرن الثامن عشر/ دراسة في علاقاتها السياسية مع السلطات العثمانية)، عسى ان تكون محاولة بسيطة لسد بعض تلك الشغرات الكبيرة والكثيرة التي يعاني منها تدوين تاريخ الكرد.

سعدى عثمان
مدرس التاريخ الحديث
كلية الاداب/ جامعة صلاح الدين- اربيل

كلمة المؤلف...

تتألف هذه الدراسة في الأساس من بحثين كانا قد نشرا في مجلتي أكاديميتين، الأول كان يحمل عنوان (العلاقات السياسية بين إمارة بابان و ولاية بغداد / ١٧٠٣-١٧٢٨) وقدم للمؤتمر العلمي الأول لجامعة دهوك المنعقد في ٢٧-٢٩ نيسان ١٩٩٩، ليتم نشره بعد ذلك في (مجلة جامعة دهوك/ أنسانية - أكاديمية) عدد خاص (٣) المجلد (٢) في تموز ١٩٩٩، أما الثاني فهو بعنوان (سليم پاشا الباباني وتحدي النفوذ العثماني/ صفحة من تاريخ العلاقات البابانية العثمانية في القرن ١٨) ونشر في (مجلة زانكو/ للعلوم الأنسانية) وهي المجلة العلمية لجامعة صلاح الدين - أربيل، العدد (٥) السنة الثالثة، نيسان ١٩٩٩. ويجدر بالذكر ان هذين البحثين كانا قد وضعا امام أنظار الخبراء لعدة مرات، في أول الأمر للحصول على القبول بالنشر ثم لنيل تعضيد الكلية وأخيراً لغرض الترقية العلمية، وخلال المرة الأخيرة عرض على ثلاثة خبراء في مجال أختصاص البحثين كان اثنين منهم من خارج إقليم كردستان، فتراوحت تقديراتهم للبحثين بين درجتي قيم وأصيل.

ولما كان البحثان يدخلان في إطار موضوع واحد وهو علاقات إمارة بابان السياسية، وحرصاً على تعميم الفائدة وأطلاع عدد أكبر من القراء والمثقفين على ذلك الموضوع، فقد حاولت اخراجهما من ثنايا صفحات المجلتي المذكورتين اللتين يكون الوصول اليهما و الاطلاع عليهما محدوداً، وأرتأيت ان أجمعهما بين دفتي كتاب واحد بعد أن أضيف اليهما تمهيد ضروري حول نشأة إمارة بابان، ليحمل الكتاب عنوان (

نبذة عن نشأة إمارة بابان:

لقد نشأت الاسرة البابانية الاولى في أواخر القرن الخامس عشر أو مطلع القرن التالي^(١) في شرقي إمارة سوران، فاستولت على مناطق لارجان^(٢) وسيوى^(٣) و سولدز^(٤)، وقام البابانيون كذلك بتعمير قلعة ماران^(٥) ثم أستمالوا عشائر موكري و بانه بالقوة والمصاهرة، فتحولوا بعد ذلك الى التوسع جنوباً فأقتطعوا منطقة شارباثير(شهر بازار) من اماره اردلان، حتى وصل نفوذهم في ذلك الاتجاه الى كركوك. وفي عهد الاسرة الثانية تم اضافة كفري الى نطاق نفوذ الامارة، ولكن أوضاع الامارة قد تدهورت في عهد الاسرتين الثالثة والرابعة فدخلت في طور الانحسار، وذلك بسبب النزاعات الداخلية التي كانت تغذيها الدولتان الاقليميتان العثمانية والصفوية، وكان التجاء أمراء بابان الى هاتين القوتين لتقوية مركزهم ازاء الخصم يساعد على نجاح تلك السياسة، فلم تتخذ الامارة نتيجة لذلك موقفاً محدداً وثابتاً من الدولة العثمانية حتى أنطفأت شعلة الأمانة في بدايات العقد الأخير من القرن السادس عشر وذلك بأنتهاء حكم آخر أمرائها، والذي كان يحكم في أنحاء مرگه في إقليم پشدر.^(٦)

بعد أنقراض الأسرة البابانية الرابعة على الوجه الذي تم بيانه سابقاً، أبت القبائل والعشائر التي كانت منضوبة تحت لواء بابان ان تعترف بسلطة حاكم أجنبي (من غير منطقتهم)، كما ويظهر انها لم تتفق فيما بينها على تنصيب زعيم محلي، فأنفصم عرى التحالف بينها، وانفردت كل عشيرة بناحية معينة لتخضع لتصرف زعمائها. على ان المنطقة

بجملتها والتي ظلت تحمل اسم بابان قد أنتقلت الى الاملاك السلطانية الخاصة «خواص همايون-أي خواص البلاط» وأرتبطت بادارة ايالة^(٧) شهرزور^(٨)، وذلك وفقاً للقانون العثماني الخاص بالامارات والزعامات الكردية الذي كان ينص على أنتقال أملاك الامارة الى الملك الخاص للسلطان العثماني عند أنقراض أسرتها الحاكمة، فيما إذا كانت الامارة لا ترقى الى مرتبة الـ«حكومت».^(٩)

لقد ظل الحال على هذا المنوال حتى برزت الشخصية التاريخية المسماة بـ(فقي نة حمه دي داره شمانه - الفقيه احمد الدارشماني)^(١٠) ليضع مجدداً نواة الامارة البابانية في منطقة پشدر، فيصبح فقي احمد مؤسساً للأسرة البابانية الخامسة، وهي الأسرة الأخيرة التي أستمرت في الحكم حتى أواسط القرن التاسع عشر.^(١١)

يكتنف الغموض زمن بروز فقي احمد على مسرح الأحداث، لعدم توفر اشارات تاريخية دقيقة حول الموضوع، مما يفسح المجال لتخمينات المؤرخين والباحثين، فيذكر لونكريك بان ذلك كان في أوائل القرن السابع عشر^(١٢)، ويورد باحث محدث النصف الثاني من ذلك القرن فقط دون تحديد أي جزء من ذلك النصف^(١٣)، أما (موكرياني) فيشير الى سنة معينة وهي ١٠٥٥هـ (١٦٤٥-١٦٤٦)^(١٤)، واذا تم مقارنة الرأي الأخير مع سياق الحوادث التاريخية، فيستبين بأنه وإن لم يتطابق مع التاريخ المحدد للحادثة فانه مقارب له دون شك، اذ تورد بعض المصادر رواية محلية كانت شائعة في أنحاء پشدر نستخلص منها ان فقي احمد كان طفلاً رضيعاً عند مقتل والده في بدايات القرن السابع عشر،^(١٥) مما يعني ان شباب فقي احمد واشتداد عوده قد أوصل القرن أواسطه،

ومما يرجح ذلك أيضاً عدم وجود أي ذكر لامارة بابان أثناء صراعات الدولتين العثمانية والصفوية التي كانت مستعرة في النصف الأول من القرن، رغم ان المنطقة كانت مسرحاً مهماً لها وذلك في الوقت الذي يرد اسم الامارات الكردية الأخرى المتواجدة في المنطقة بكثرة. (١٦) وبذلك يمكن القول بان فقي احمد قد تمكن من وضع أساس سلطته في أواسط القرن.

ومن جهة أخرى فان الآراء تتضارب أيضاً حول أصول ومنشأ الأسرة المذكورة وجدها فقي احمد، كما علق بها بعض الاساطير المحلية (١٧). ولكن يستشف منها بصورة عامة ان هذه الأسرة تنتسب الى إحدى الزعامات العشائرية التي تمتعت بالسلطة في أحد أقاليم الامارة البابانية المنحلة في أواخر القرن السادس عشر، ومهما كانت حقيقة صلة هذه الأسرة بالسلالة البابانية الحاكمة السابقة، فان الكيان السياسي الذي تم وضع بنيانه عرف بالامارة البابانية لان تسمية بابان في المنطقة كانت قد خرجت من اطارها الاسري لتتخذ أبعاداً جغرافية وسياسية على الأغلب. أتخذ فقي احمد من دارشمانه مركزاً لحكمه والذي كان يشتمل على أقليمي مرگه و پشدر أول الامر، وترسخ نفوذه نتيجة أعتراف السلطات العثمانية بسلطته على ما تحت يده من أراضي عندما أشتكر في بعض المعارك العثمانية كما يشار الى ذلك. (١٨) وازاف فقي احمد ومن بعده أبنة خان بوداق (١٩) بعض الأراضي المجاورة الى الامارة منها ماووت (٢٠) وشارباثير (٢١)، كما تبعت بابان أيضاً بعض العشائر المجاورة وبالاخص عشيرة بلباس الكبيرة وبعض فروعها الساكنة في ايران حسبما تفيد بعض المصادر، فقام خان بوداق بنقل مركز حكمه الى

ماووت في عام ١٠٧٥هـ/١٦٦٥م ليتوفى هناك بعد ذلك بقليل. (٢٢) لقد طغى الطابع السياسي للامارة على طابعها الاقطاعي - القبلي في عهد الأمير بابا سليمان (أو - سليمان بقة ١٦٦٩-١٦٩٩م) الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للامارة البابانية في عهد اسرتها الخامسة. (٢٣) فقد حاول التوسع على حساب مناطق نفوذ أيلة شهرزور وكذلك امارة أردلان التابعة لايران وأضاف حيزاً كبيراً من المناطق المجاورة الى نطاق نفوذ بابان، فأمتدت الامارة لتشمل شهرزور (٢٤) وكذلك قزجة وسروجك اضافة الى مناطق قرداغ وبازبان، فأتخذ من قة لآچوالآن مركزاً جديداً للامارة حوالي عام ١٠٨٠هـ/١٦٧٠م فظلت كذلك حتى بناء السلیمانانية في عام ١٧٨٤م. (٢٥) ولقد أصبح بابا سليمان بفضل تلك التوسعات والقوة التي أكتسبها نتيجة لذلك «الرجل الفذ في تلك الاصقاع» (٢٦) حقاً. وعلى الرغم من اصابته بانتكاسة في مشاريعه التوسعية في ايران، فانه يبدو وقد حصل في عام ١٦٨٦م على أعتراف عثماني رسمي بسلطاته المتنامية في تلك البقعة من كردستان. (٢٧) ومما يدل على ذلك حصوله على لقب «باشا» (٢٨)، وتشير بعض المصادر الى انه حظي بذلك لقاء تقديمه المساعدة العسكرية للدولة العثمانية أثناء إحدى حروبها. (٢٩) وعندما ترك الامارة في أواخر القرن السابع عشر تمتع خلفاؤه بسلطة راسخة وشرعية مؤكدة لحكم الامارة التي اصبحت بموجب التنظيم الاداري العثماني إحدى سناجق أيلة شهرزور ويحمل أمراؤها لقب متصرف (٣٠).

الهوامش:

- بهذه المرتبة التي تعطي تلك الامارات امتيازات سياسية وادارية أكبر قياساً الى غيرها. ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٥.
- (١٠) كان مسقط رأسه في قرية دارشمانة الواقعة على بعد بضعة كيلومترات من قفلاذرى الحالية في قضاء بشدر، كما وتقع ضريحه في ضواحي تلك القرية أيضاً. جمال بابان: أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، ط ٢، بغداد - ١٩٨٦، ص ١١١.
- (١١) أحمد جودت: تاريخ جودت، أز ترتيب جديد، جلد ١، أستانبول ١٣٠٣ رومي، ص ٢٧٣؛ أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص ٦٠.
- (١٢) س.هـ. لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت: جعفر الخياط، ط ٦، بغداد - ١٩٨٥، ص ١٠٥.
- (١٣) نقوشيروان مستقفاة أمين: ميرايةتي بابان لةنيوان بقرداشي رذم و عةجم دا، ج ٢، سليمانى ١٩٩٨، ل ٤٥.
- (١٤) حوسين حوزني موكراني: ناوژيكي باشقوة، ب١(حوكمداراني بنقماثتي ئقردهلان و بابان لة شارزةووردا) ژةواندز - ١٩٣١، ل ٨٤.
- (١٥) تذييق قفتان: ميژووي حوكمداراني بابان لة قفلاچوالان، بقغدا-١٩٦٩، ل ٩؛ ي.ئي. فاسيليقثا: كوردستانى خوارووي ژڈههلات لة سدةدي حةقدهوة تا سقرةتاي سدةدي نڈزدة، و: د. رةشاد ميران، هقولير، ١٩٩٧، ل ٥٥؛ وقد أورد (أمين زكي) الرواية نفسها دون ذكر تاريخ محدد لها. ينظر: تاريخ السليمانية، ص ٥٩.
- (١٦) ينظر على سبيل المثال: مصطفى عبدالله كاتب چلبى: فذلكة كاتب چلبى، ج ٢، أستانبول - ١٢٨٥، ص ١١٨-١٢٠؛ محمد سعيد المدرس: گلشن معارف، ج ١، استانبول-١٢٠٢، ص ٦٦٧-٦٦٩؛ نظمي زاده مرتضى أفندي: گلشن خلفا، ت: موسى كاظم نورس، النجف - ١٩٧١، ص ٢٢٤-٢٢٥.
- (١٧) دائرة المعارف الاسلامية، مج ١١، مادة سابلاغ؛ عابدولقادر كوژي ژڈستمي بابان: ژةوشي كوردان، و: كقرمي حيسامي، ج ١، سويد-١٩٩١، ل ٨٥-٨٨؛ لونكريك: أربعة قرون، ص ١٠٥؛ أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص ٥٢-٦١.
- (١٨) كلوديوس جيمس ريج: رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠، ج ١، ت: بهاءالدين نوري، بغداد - ١٩٥١، ص ١٠٢، قفتان: ميژووي حوكمداراني بابان، ل ١٢-

- (١) هناك إشارة تاريخية نادرة تفيد بوجود امارة كردية باسم بابان في سنة ٦٧٥هـ أي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، ينظر: چمكيكي ميژووي هتورامان و مقريوان (صفحات ترجمها الى الكردية - محمد ملا كريم - بعد ان قام بأقتباسها من كتاب - نور الأنوار- الذي ألفه- سيد عبدالصمد التوداري. في عام ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م) بقغدا - ١٩٧٠، ل ١٥.
- (٢) هي منطقة (لارجان=لاهيجان) أحدى نواحي موكران في كردستان الشرقية.
- (٣) كانت من مناطق نفوذ امارة سوران وتقع في شرقيها على الأغلب.
- (٤) تقع في منطقة موكران الى الشمال الغربي من مهاباد.
- (٥) لا يعرف موقعها الحالي.
- (٦) شرفخان البديسي: الشرفنامه، ج ١، ت: ملا جميل بندي روژياني، بغداد - ١٩٥٣، ص ٢٨٩-٢٩٥؛ محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأبحاثها، ت: الملا جميل الملا احمد الروژياني، بغداد - ١٩٥١، ص ٤٤-٥٠.
- (٧) كان العثمانيون يطلقون كلمة (ولايت-الولاية) على أكبر وحدة ادارية في الدولة حتى عام ١٥٩١م، حيث تم أستبدالها بمصطلح (أيات - الايالة) الذي أستمر في الاستخدام حتى عام ١٨٦٤م، لتعود كلمة الولاية الى الأستعمال مرة أخرى، حول ذلك ينظر: دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) مج ٥، مادة ايالة (خليل اينالچيك).
- (٨) البديسي: الشرفنامه، ص ٢٩٥-٢٩٦؛ أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص ٥٠-٥١؛ د. عماد عبدالسلام رؤوف: ادارة العراق/ الأسر الحاكمة ورجال الادارة و القضاء في القرون المتأخرة، بغداد - ١٩٩٢، ص ٢٥.
- (٩) ئقوليا چةلقبي: كورد لة ميژووي دراوسيكانيدا / سياحة تنامةتي ئقوليا چةلقبي، و: ناكام، ج ٢، بقغدا - ١٩٨٧، ل ٣٥-٣٦، ويجدر بالذكر فيما يتعلق بمرتبة «الحوكومت» ان السلطات العثمانية قد خصت الامارات الكردية المهمة والكبيرة

١٣؛ رؤوف: ادارة العراق، ص ٢٥٣.

(١٩) لم يتطرق (موكرياني) و (أمين زكي) الى حكم هذا الأمير الذي حكم بعد أبيه فقي أحمد (ينظر: ناوژيكي باشقوة، ب١، ل٨٤-٨٥؛ تاريخ السليمانية، ص٦١) ولكن أحمد جودت يذكر عهده دون ان يسميه بالاسم (تاريخ جودت، ج١، ص٢٧٣) أما لونكريك فيورده بصيغة ماوند (أربعة قرون، ص١٠٥) وذلك في الوقت الذي تؤكد بعض المصادر الأخرى على الاسم خان بوداق، باعتباره ابن فقي أحمد وخلفه في الحكم (قفتان:ميژوي حوكمداراني بابان، ل١٥؛ سي.جي. آدموندز، كرد وترك وعرب، ت: جرجيس فتح الله، بغداد- ١٩٧١، ص٥٤) ولذلك فقد تم الأخذ بوجهة النظر الأخيرة وخاصة لأنها تتفق مع رواية محلية كانت شائعة في أواسط پشدر ويرويه (أمين زكي) في (تاريخ السليمانية، ص٥٨-٥٩) أما فيما يتعلق بالاسم ماوند فانه محرف من (ماود) أي ماووت وهي المنطقة التي أستولى عليها ابن فقي احمد كما جاء في (تاريخ جودت، ج١، ص٢٧٣) وليس أسماً له كما توهم لونكريك حينما نقل عن المصدر المذكور على أغلب الظن.

(٢٠) قفتان: ميژوي حوكمداراني بابان، ل١٦؛ موكرياني: ناوژيكي باشقوة، ب١، ل٨٤؛ أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص٥٩.

(٢١) جودت: تاريخ جودت، ج١، ص٢٧٣؛ لونكريك: أربعة قرون، ص١٠٥؛ موكرياني: ناوژيكي باشقوة، ب١، ل٨٥.

(٢٢) قفتان: ميژوي حوكمداراني بابان، ل١٤-١٨؛ فاسيليةفا: كوردستاني خواروي زڈههلات، ل٥٥-٥٦.

(٢٣) لونكريك: أربعة قرون، ص١٠٥؛ آدموندز: كرد وترك وعرب، ص٥٥؛ علي سيدو الكوراني: من عمان الى العمادية، مصر- ١٩٣٩، ص٥٦.

(٢٤) نظمي زاده: گلشن خلفا، ص٢٩٦؛ موكرياني: ناوژيكي باشقوة، ب١، ل٨٥.

(٢٥) قفتان: ميژوي حوكمداراني بابان، ل١٨-١٩.

(٢٦) أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص٦٢؛ وأنظر أيضاً: لونكريك: أربعة قرون، ص١٠٥.

(٢٧) دائرة المعارف الإسلامية، مج٥، مادة بابان؛ هادي رشيد الجاوشلي: القومية الكردية وتراثها التاريخي، بغداد - ١٩٦٧، ص٨٣.

(٢٨) ريج: رحلة ريج، ج١، ص٢١٣؛ أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص٦٢؛ رؤوف: ادارة العراق، ص٢٥٣.

(٢٩) عبدالقادر بابان: رةوشي كوردان، ل٨٨-٨٩؛ موكرياني: ناوژيكي باشقوة، ب١، ل٨٧.

(٣٠) جودت: تاريخ جودت، ج١، ص٢٧٣؛ لونكريك: أربعة قرون، ص١٠٦.

البحث الاول

العلاقات السياسية بين إمارة بابان و ايالة بغداد

١٧٠٣ - ١٧٢٨

تمهيد:

كانت إمارة بابان تعد من الإمارات الكوردية التي استطاعت بالرغم من السياسات العثمانية الجائرة، الحفاظ على كيائها واستقلالها الداخلي، فترة طويلة من الزمن. و لم يكن ذلك بالأمر الهين، إذ تعرضت الإمارة لكثير من ويلات الحروب وتعرض أمراؤها كثيراً للتشرد نتيجة مواقفهم الوطنية ورفضهم الخضوع المباشر لسلطات ايالة بغداد، التي كانت تمثل النفوذ العثماني. ولهذا يمكن اعتبار تاريخ الإمارة سلسلة متصلة من العصيان والثورات على الحكم العثماني، ولكن ذلك لم يكن يعني عدم وجود فترات وئام بين إمارة بابان والسلطات العثمانية.

يحاول هذا البحث التصدي لحلقة صغيرة من حلقات الوئام والخصام بين بابان وبغداد. وتشمل هذه الحلقة الثلث الأول من القرن الثامن عشر، اما لماذا تم اختيار هذه الحقبة بالذات، فذلك لأنها حلقة مهمة في لعبة جر الحبل بين الجانبين، إذ تبين لنا بوضوح تلك المحاولات الجادة التي بذلها أمراء تلك الإمارة للوصول الى قدر كبير من الاستقلالية بشؤون إماراتهم. وعلى رأس هؤلاء الأمير بكر بك (١٧٠٣-١٧١٤) الذي دفع حياته ثمناً لذلك، ثم الأمير خاتة باشا الذي بذل محاولات جهيدة لتوسيع رقعة نفوذه ورفع شأن الإمارة، فاتبع في سبيل ذلك طريق التضامن التام مع ايالة بغداد، خاصة في حملاتها عند توغل القوات العثمانية داخل ايران. ولكنه بالرغم من ذلك لم يكن مستعداً للتضحية

بمصالح إمارته العليا من أجل المصالح العثمانية التي قد لا تلائمها باستمرار.

لكتابة هذا البحث تم الاعتماد على مجموعة مصادر عثمانية أصيلة، منها مصدرين باللغة التركية العثمانية وهما (تاريخ جودت) لأحمد جودت، و(تاريخ چلبى زادة) لمؤلفة إسماعيل عاصم چلبى زادة، ومصادر أخرى ترجمت الى العربية او كتبت بها، منها على سبيل المثال (حديقة الزوراء) للشيخ عبدالرحمن السويدي و(گلشن خلفا) لنظمي زادة مرتضى افندي، و(دوحة الوزراء) للشيخ رسول حاوي الكركوكلي، ومن بينها مصدر فارسي مهم وهو كتاب (درة نادرة) لمؤلفه ميرزا مهدي خان استرابادي المؤرخ الرسمي لنادر شاه والمرافق له في حملاته. هذا بالإضافة الى العديد من المصادر الأخرى.

إمارة بابان و ايالة بغداد والتبعية الإدارية:

منذ عام ١٥٣٣ اصبح إقليم شهرزور و بعض المناطق المجاورة التي هيمنت عليها إمارة بابان فيما بعد^(١)، تندرج ضمن مجال النفوذ العثماني^(٢)، فأرسى العثمانيون فيها نظمهم الإدارية لترسيخ هيمنتهم في تلك الأرجاء^(٣). بالرغم من ذلك فان السيادة العثمانية في تلك المنطقة وكذلك تبعية إمارة بابان كانت تتعرض للتغيير وفقاً للظروف والتطورات، ففي الوقت الذي كانت تخضع للحكم العثماني المباشر في بعض الأحيان، نجدها في كثير من الأحيان الأخرى لاتتبع العثمانيين الا من الناحية الاسمية. فحتى عند أمير واحد مثلاً وهو سليمان به به (او- بابا سليمان) (١٦٦٩-١٦٩٩م) الذي يعد المؤسس الحقيقي للسلالة البابانية الخامسة^(٤)، نلمس هذه الظاهرة بوضوح.

وجه الأمير سليمان جهوده منذ البداية نحو توسيع حدود الإمارة، وبعد ان حصل على نجاحات بارزة في هذا المجال، حرص على ضمان استقلال إمارته، اذ لم يعترف بالسيادة العثمانية بل دفعته طموحاته في عام ١٦٩٠ صوب الاستيلاء على مدينة كركوك نفسها التي كانت مركزاً لولاية شهرزور، و كانت بابان تابعة لها بموجب القانون الإداري العثماني. حاول دلاور باشا والي شهرزور ردع سليمان بك عن ذلك الا انه لم يجن شيئاً بل دفع حياته ثمناً لذلك، مما ادى ذلك الى تدخل ايالة بغداد، وبعد ان أخفق والي بغداد في محاولات عدة هو الآخر، استعان أخيراً بقوات ديار بكر وحلب لإخضاع سليمان بك في عام ١٦٩٩ وتمكن منه^(٥). فأصبحت بابان بعد هذا التاريخ سنجقاً عثمانياً والحقت رسمياً بباشوية كركوك (ايالة شهرزور)^(٦). ولهذا فلا عجب ان نرى المصادر العثمانية تذكر إمارة بابان في تلك الفترة باسم «سنجق بابان- او - سنجق به به»^(٧)، فيذكر أحد تلك المصادر عندما يتحدث عن حركة أحد الأمراء البابانيين في تلك الفترة «وفي اثناء هذه السنة [١٢٦٦هـ/ ١٧١٤م] عصى بكر بك من سناجق أكراد الببه التابعة لشهرزور... ولم ينقذ لولاية شهرزور...»^(٨) ولكن ذلك لم يكن يعني الغاء السلطة البابانية في المنطقة بأي حال من الأحوال، اذ بقيت بابان كغيرها من الإمارات الكوردية الأخرى تتمتع ببعض الامتيازات^(٩)، لعل أهمها كان الاحتفاظ بالاستقلال الداخلي و توارث أبناء الأسرة البابانية السلطة في الإمارة (او السنجق كما كانت تسميها المصادر العثمانية في تلك الفترة)، فتطور الإمارة واستمرارها حتى عام ١٨٥١ خير برهان على ذلك^(١٠).

بالرغم مما ذكرناه آنفاً حول تبعية إمارة بابان لولاية شهرزور وفقاً للتقسيم الإداري العثماني، فأنا نلاحظ بأن ايالة بغداد هي التي كانت تشرف على شؤون الإمارات الكوردية في كوردستان الجنوبية و تمثل الحكومة العثمانية في تعاملها مع تلك الإمارات، وبشكل خاص إمارة بابان التي تعيننا. فنجد بغداد اكثر حرصاً من ايالة شهرزور بالتحديد على استتباب الامن في المنطقة و ضمان التزام بابان بولائها للدولة العثمانية. والمصادر التاريخية حافلة بالامثلة التي تثبت ذلك، فكثيراً ما دونت تلك المصادر احداث قام فيها ولاة بغداد بعزل و نصب أمراء بابان^(١١) او بالانتقاص من مناطق نفوذها^(١٢) او باستدعاء قواتها للمساعدة^(١٣) او بإرسال قوات بغداد اليها لقمع ثورة او حركة قام بها أحد الأمراء البابانيين^(١٤).

هناك اسباب عديدة وراء اهتمام ايالة بغداد اكثر من الايالات العراقية الأخرى بشؤون الإمارات الكوردية وبضمنها إمارة بابان، ففي مقدمة ذلك إن ايالة بغداد امتازت بمنح السلطات العثمانية اياها حق العزل والنصب لامراء الإمارات الكوردية (في كوردستان الجنوبية) وهذا ما لم يحصل عليه أي من ولاة الايالات الأخرى في العراق^(١٥). ولعل ذلك عائد الى مكانة وجدارة ولاة بغداد أنفسهم مقارنة بولاة العراق الآخرين، فكان والي بغداد بمرتبة وزير وله ثلاث طوغات، اما ولاة الموصل وشهرزور والبصرة فكانوا دون ذلك ولهم طوغتان او طوغة واحدة في بعض الأحيان^(١٦). ولذلك كان والي بغداد في وضع يؤهله التدخل في شؤون الايالات الأخرى، اذ كانت سيطرته تمتد في بعض الفترات لتشمل كثيراً من أنحاء العراق^(١٧). ولذلك كانت السلطات في الباب

العالي تكلف ولاية بغداد بانجاد الايالات العراقية الأخرى، ف فيما يتعلق بشهرزور تحملت ايالة بغداد مسؤولية الدفاع عنها ضد التهديدات الايرانية، وكانت تتولى ايضاً الضغط على الإمارات الكوردية حتى تضمن استمرار ولاء هذه الامارات للدولة العثمانية، وبذلك اصبحت شهرزور تحت إشراف والي بغداد (١٨). ففي عام ١٧١٩م نجد حسن باشا والي بغداد (١٧٠٤-١٧٢٤م) يأمر والي شهرزور ويرسله الى تأديب عشائر البلباس (١٩)، وكذلك عندما يخفق ولاية شهرزور في اخماد ثورة او حركة تمرد مستفحلة في إحدى نواحي ايلاتهم، فإن ذلك يستدعي تدخل والي بغداد. ومن هذا المنطلق ترأس والي بغداد المذكور بنفسه حملة لخماد ثورة بكر بك الباباني في عام ١٧١٤ وذلك عندما لم ينقاد الأخير لولاية شهرزور (٢٠)، كما سيأتي.

والجدير بالذكر ان هذه السلطة التي كان يتمتع بها ولاية بغداد على الاقاليم الأخرى في العراق كانت تتوقف على قوة هؤلاء الولاة انفسهم الى حد كبير. فكان تطور ايالة بغداد وتوسع سلطانها في عهد والي حسن باشا يعود بالدرجة الأولى الى قوة شخصية حسن باشا وطموحاته (٢١). وفي عهد ابنه احمد باشا الذي تولى من بعده نفس الولاية (١٧٢٤-١٧٤٧) توسعت سطوة الولاية اكثر من السابق الى درجة ان يلحظه (كارستن نيبور) وهو رحالة أجنبي، فيذكر: «وبهذه العزيمة وبالقوة التي كانت بأمرته {اي احمد باشا بعد تصديه لنادار شاه} بسط سلطانه على مناطق كوردستان وبقية المقاطعات التابعة لشهرزور» (٢٢).

مهما كان الأمر فإن ما يهمنا هو ان ايالة بغداد في الثلث الأول

من القرن الثامن عشر كانت معنية بتثبيت السيادة العثمانية في المنطقة، وهي التي كانت تمثل النفوذ العثماني على إمارة بابان.

عهد بكر بك.. صفحة التحدي:

عندما بزغ فجر القرن الثامن عشر كانت بابان قد اصبحت إمارة واضحة المعالم وشملت حكمها في عهد الأمير بكر بك (٢٣) الذي تسلم حكم الإمارة في سنة ١٧٠٣، جميع المناطق الواقعة بين نهر سيروان (ديالى) جنوباً و نهر كويه (الزاب الاسفل) شمالاً وطريق كفري - التون كوبري غرباً حتى الحدود مع ايران (٢٤). وجدير بالتنويه انه كان لمحاولات بكر بك التوسعية دور كبير في توسع الإمارة الى الحدود التي سبق تحديدها، الا ان تلك المحاولات لم تتكامل دائماً بالنجاح فسرعان ما ساءت علاقاته بوالي شهرزور العثماني بسبب محاولته السيطرة على كركوك - مركز الولاية - أو لعدم اعترافه بسلطة والي شهرزور على إمارته التي تتبع رسمياً ايالة شهرزور العثمانية كما تذهب الى ذلك العديد من المصادر (٢٥)، الا ان السبب الرئيسي في ذلك يعود على الأرجح الى خشية السلطات العثمانية في المنطقة من تعاضم نفوذ هذا الأمير الكوردي الطموح كما يؤيد ذلك الاتجاه لونكريك (٢٦) ايضاً.

والجدير بالذكر ان المصادر العثمانية التي غالباً ما تعبر عن وجهة النظر الرسمية، تصف قيام بكر بك في وجه السلطات العثمانية بالتمرد والعصيان كعادتها في اتهام الثائرين على النفوذ العثماني. بل نجدهم يتفننون في صياغة التعابير التي تظهر الأمير الباباني في ثوب قاطع الطريق والسفاك المعتدي على الأبرياء، وتصور والي العثماني كمنقذ

وكاشف الغم عن هؤلاء الناس. فقد دون أحد المؤرخين العثمانيين على سبيل المثال بانه: «في هذه السنة {١١٢٦هـ / ١٧١٤م} عصي بكر بك ... حيث اظهر الخلاف وتغلب على الأطراف والاكثاف ... ولم يتبع كلمة الجمهور فكم قتل رجالاً وهتك حيث سبي عيالاً وأزهق تحت سنايك خيله الأطفال فسقى اذ فسق أهل القرى كؤوس الزوال فقصد الوزير عالي المهمة الكشف عن المسلمين لهذه الغمة...» (٢٧).

وقف بكر بك نتيجة طموحاته السياسية و مواقفه من السيادة العثمانية وجها لوجه أمام والي بغداد، مما يبين جدية الانتفاضة واستيعاب العثمانيين لخطورتها، بحيث تطلب امر القضاء عليها تدخل ايالة بغداد المباشر، وذلك لان المهمة كانت تفوق حدود امكانيات ايالة شهرزور، هذا في الواقع وحسبما قدره العثمانيون على الأغلب ايضاً، فلا نعثر بين المصادر على اشارة تبين مبادرة والي شهرزور لانقاذ الموقف او القيام بعمل ما بمفرده.

مهما كان الامر فقد توجه الوالي حسن باشا في عام ١٧١٤ على رأس حملة عسكرية كبيرة لوضع حد لتحديات بكر بك وتوسعاته. ويبدو ان الأخير كان قد اتخذ استعداداته ايضاً فوضع خطوط دفاعاته في الجبال الشاهقة معتمداً على وعورة مسالكها مع تمتعه بتأييد قوي من اهل المنطقة وتعزيدهم له بالمقاومة، فجاء في مصدر عثماني قريب من الاحداث بأن المذكور «... متصلد باتباع جعلهم له جنة ومتجلد بعساكر لا تخلو من ضررهم الانس والجنة [الجن]، عددهم ريث [مقدار] الرمال وعددهم تزعزع بضرها الجبال» (٢٨) بالرغم من كل ذلك كانت النتيجة فشل المقاومة البابانية أمام قوات ايالة بغداد، التي تعرضت بدورها للكثير من المصاعب جراء صعوبة الطرق وشدة ضربات المقاومين

الكورد (٢٩). وفيما يتعلق بعوامل هزيمة قوات بابان يمكننا القول بانها تكمن في كونها تجابه والياً صعب المراس وقوات نظامية متمتعة بتماسك التنظيم ووفرة التسليح وتطور اسلحتهم ايضاً، التي ضمت المدفعية الفعالة لدك الحصون و المعادل بدون شك. وقد يضاف الى ذلك معاناة المتحصنين الكورد من نقص الامدادات والمؤن.

بالرغم من كل ذلك يظهر لنا ان المدافعين قد استماتوا في القتال ولم يسلموا بالهزيمة الا بعد ان دفع غالبيتهم حياته ثمناً للمقاومة المشرفة، وذلك حسب قول مؤرخ عثماني دون لنا: «... والتحموا بالشقي وتغلبوا عليه وهزموه بعدما قتلوا اكثر رجاله...» (٣٠). اما الباقي ممن كانوا على قيد الحياة فقد انقسموا بين من «احتّر القتل فيهم واغتنمت الجنود جل ذراريهم ومواشيهم» (٣١) وبين من تمكن من النجاة بروحه وافلت من قسوة البطش العثماني، وضمن هؤلاء الأخيرين كان بكر بك نفسه الذي عمد بعد انكشاف نتيجة المعركة الى الفرار والتواري عن الأنظار. الا ان ذهابه متنكراً الى بغداد فيما بعد أدى الى اعتقاله واعدامه هناك بأمر من حسن باشا (٣٢). وهذه مسألة تثير التساؤل والدهشة في الوقت نفسه، ولهذا يختلف المؤرخون في تعليلها، فيذهب أحدهم الى ان بكر بك قد اختل عقله في الفترة الأخيرة من حياته فذهب متخفياً بزي الدراويش الى بغداد بحجة الاستحمام (٣٣). ويقول آخر بأنه جاء بعد هزيمته الى نواحي بغداد طلباً للتخفي والنجاة (٣٤). هذا في الوقت الذي يتجاهل بعض المصادر ذكر سبب الذهاب (٣٥). ولكن الحقيقة تكمن على الأرجح فيما ذكره مصدران تاريخيان بأن الذهاب الى بغداد كان بأمل الصنف والعفو ولكنه انكشف قبل ان يلقي الوالي

ويقدم التماسه أو ان الوالي لم يقبل التماسه^(٣٦)، فمن غير المعقول ان يذهب شخص مهذور دمه الى معقل اعدائه بدون سبب مقنع قد يكون طلب العفو. أما مسألة «ان الله قد أعمى بصيرته وقيض له خذلانه وحيرته...» كما يقول أحد المؤرخين العثمانيين^(٣٧) فأنها غير واردة في تعليل الحوادث التاريخية.

عين حسن باشا بعد انتصاره على بكر بك حاكماً عثمانياً بمنصب متسلم أو الوصي على إمارة بابان التي أصبحت سنجقاً عثمانياً تابعاً لآيالة شهرزور مباشرة، وذلك لعدم بلوغ الورثة الشرعيون للإمارة سن الرشد ليتولوا حكمها. وبذلك فقدت بابان حكمها الذاتي السابق حتى عام ١٧٢١^(٣٨) وفيما يتعلق بعلاقات بابان مع بغداد في ذلك العهد، فسوف لا نتصدى لها لانها علاقة عثمانية - عثمانية وليست بابانية - عثمانية، والتي تهمنا في هذا البحث، وكذلك لانه حكم عثمانية مباشر وبالتالي لم تكن لبابان في ذلك العهد شخصية متميزة عن الإدارة العثمانية.

عهد خانة باشا.. الوثام والخصام

تولى خانة بك^(٣٩) حكم إمارة بابان في سنة ١٧٢١ واستعاد حق الأسرة البابانية الضائع وبدأت بذلك صفحة جديدة في سجل العلاقات البابانية العثمانية والتي تميزت بالوثام التام في حيز كبير منها، نتيجة الاستعداد الدائم من جانب بابان لتلبية أوامر آيالة بغداد ومشاركتها في المشاريع والحملات العثمانية المتعددة. كما بلغت الإمارة منذ ذلك الحين درجة عالية من الازدهار والتوسع باستفادة خانة بك من الصراع العثماني الايراني الدائر بعد ان بدأت الدولة العثمانية تطمع في

الأراضي الايرانية التي أصبحت فريسة سهلة بعد الغزو الأفغاني لها في عام ١٧٢٢^(٤٠).

لقد اندفع خانة بك حين اعلنت الدولة العثمانية الحرب على ايران في أوائل سنة ١٧٢٣ وشارك مشاركة فعالة في الجيش العثماني الزاحف على الأراضي الايرانية من جهة الغرب بقيادة والي بغداد حسن باشا، فعندما توغل هذا الجيش في الأقاليم الغربية واحتل مدينة كرمينشاه في ١٦ تشرين الأول دون مقاومة، كانت قوات بابان وقوات كوردية اخرى ضمن هذا الجيش^(٤١). بل يقال ان البابانيين كانوا يشكلون طليعة الجيش المهاجم^(٤٢). وفي المعارك اللاحقة لعب خانة بك بقواته البابانية دوراً تميز بفعالية اكبر، اذ تؤكد العديد من المصادر على ان استيلاء الجيش العثماني على إمارة اردلان التابعة لإيران في عام ١٧٢٤، تمت بفضل حملة فرعية قادها خانة بك و كان جلها من المقاتلين الكورد^(٤٣). كما شاركت هذه القوات نفسها ضمن حملة عثمانية

لاحقة لإخضاع إمارة لورستان الكوردية^(٤٤). ومن الدلائل التي تبرهن على ذلك ان العثمانيين بعدما تحقق لهم هذه المكتسبات الكبيرة في ايران لم يبخسوا على جهود خانة بك الذي حظى بمكانة مرموقة فمنح درجة المير ميرانية التي تعطي حاملها لقب پاشا، وحصل كذلك على مكتسبات إقليمية بإضافة إمارة اردلان الى الأملاك البابانية^(٤٥).

لقد حفز هذا التكريم خانة «باشا» على الاندفاع بشكل أقوى للاشتراك في الحملات اللاحقة ضمن الجيش العثماني الذي تولى قيادته والي بغداد الجديد احمد باشا^(٤٦). فقد ساهم الأمير الباباني بقوات بابان مضافاً إليها رجال اردلان في عملية حصار مدينة همدان التي

سقطت بأيدي العثمانيين في ٣١ اب ١٧٢٤، وكذلك كلف الى جانب ابراهيم پاشا والي ديار بكر وهو كوردي ايضاً، بمجابهة قوة فارسية جاءت تحت قيادة احد الامراء الصفويين وهو لطيف ميرزا لانقاذ همدان، فتم دحر هذه القوة بسهولة واسر قائدها، هذا بالاضافة الى مهمات اخرى (٤٧).

نتيجة هذه المواقف البابانية الإيجابية من المشاريع التوسعية العثمانية نجد بان العلاقات الودية قد استمرت في التطور بين بابان وبغداد، فقد تسلم خانة پاشا سيفاً مذهباً من والي بغداد احمد پاشا تعبيراً عن اعتراف العثمانيين بدوره البارز في الحملات الحربية المذكورة سابقاً (٤٨). بل هناك من يذكر بأن الوالي قد وجه مقاليد أمور همدان الى خانة پاشا عندما اضطرته ظروف ايالة بغداد الداخلية الى الرجوع الى مقر ولايته في عام ١٧٢٥ (٤٩). ورغم عدم عثورنا على ما يؤيد ذلك في المصادر التاريخية، الا أننا لا نشك في المدى الذي وصلت اليه ثقة الوالي بالأمير الباباني من علو في تلك الأثناء، وذلك اعتماداً على ما بلغت إليه شؤون إمارة بابان من تطور، فمما يلاحظ على السياسة العثمانية تجاه الكيانات المحلية والإمارات الكوردية بشكل خاص، ان المسؤولين العثمانيين يعمدون الى مكافأة الأمراء والزعماء الذين يحوزون على ثقتهم، وكثيراً ما تكون هذه المكافأة على شكل مكاسب إقليمية لتوسع رقعة نفوذ هؤلاء الاخيرين (٥٠). وكانوا يقصدون ان يشجعوا الأمراء الكورد بوساطة هذه المحفزات على الارتباط بعجلة الدولة العثمانية واهدافها المحلية والإقليمية.

بالرغم من كل ذلك ان هذه العلاقات الجيدة التي كانت تتطور باطراد بين إمارة بابان والسلطات العثمانية (متمثلة بوالي بغداد) حتى بلغت

القمة، سرعان ماتعرضت لنكسة مؤقتة ولكنها فاعلة الى حد كبير. وذلك نتيجة الموقف السلبي الذي اتخذه خانة پاشا حين كان قائداً للجناح الأيمن في الجيش العثماني أثناء المعركة المهمة التي دارت رحاها سنة ١٧٢٦ في صحراء (أنجه دان) بالقرب من اصفهان، بين الجيش المذكور وقوات اشرف شاه الافغاني. فقد انسحب خانة پاشا بقواته الكوردية في غمرة القتال وحذت حذوه القوات الكوردية الأخرى التي كانت تشكل جانباً مهماً في الجيش العثماني، لتؤدي الى كارثة بالنسبة للعثمانيين، اذ أدخلوا ارض المعركة بعد ان تركوا فيها اثنا عشر الف قتيل اضافة الى مدافعهم وذخائرهم الحربية التي أصبحت غنيمة باردة للأفغانين (٥١). وجليد بالذكر ان بعض المصادر تذهب الى ان المقاتلين الكورد المنسحبين، قد انضموا الى صفوف الجيش الافغاني أثناء المعركة (٥٢)، وهو الأمر الذي لم يؤكد المصادر الأخرى. وكذلك تختلف المصادر التاريخية حول دوافع الانسحاب الكوردي بحد ذاته، فالمصادر العثمانية (٥٣) ترد هذا الموقف الى تسلم الأمراء الكورد وبضمنهم خانة پاشا الهدايا والخلع من اشرف خان والوعد منه بالولايات والمناصب وذلك دون ان يوردوا برهاناً واحداً على ذلك. ويذكر بعض المؤرخين الكورد (٥٤)، بان خانة پاشا قصد بذلك الانتقام لعمه بكر بك الذي مر ذكر مقتله في بغداد آنفاً، وهناك من يرى بان المنسحبين استهدفوا بعملهم هذا إلحاق الهزيمة بالعثمانيين الذين بلغوا درجة عالية من القوة والتوسع، وذلك بهدف الحفاظ على التوازن بين إيران والعثمانيين لان تقوية إحدى الدولتين دون الأخرى تؤثر سلباً على نفوذ الكيانات السياسية الكوردية (٥٥) ولكنه بالتمحيص في الحادثة يظهر لنا ابتعاد أغلب هذه التعليقات عن الواقع،

فان كان خانة پاشا ينطلق من موقفه هذا بهدف شخصي فماذا يقال بشأن الأُمراء الكورد الأخرين الذين اتخذوا نفس الموقف، ثم لماذا هذا الموقف وفي هذه المعركة بالذات؟ ان جواب هذا السؤال قد يكمن في مسألة الشعور المذهبي، تلك العاطفة القوية آنذاك وبشكل خاص لدى الكورد، ففي المعارك السابقة في ايران كان العثمانيون يواجهون جيش الدولة الصفوية الشيعية او يحاولون اقتطاع ممتلكاتها، اما الأفغانيون فهم سنّة، وساعد في تقوية هذا الاتجاه ان الشاه اشرف الافغاني اتبع الحرب النفسية تجاه المعسكر العثماني، فبثّ دعائه بين القوات العثمانية ليدعون باسم الحمية الدينية الى منع هذه المعركة بين الاخوة السنّة، مستهدفين تثبيط العزائم وهبوط المعنويات، فكان لذلك وقع عظيم في نفوس الكورد والترك على السواء ولكن بين الكورد بشكل اقوى، فانتشرت الدعوات الى الاستسلام وضرورة عدم مواصلة الحرب (٥٦). حتى ان عددا كبيرا من المقاتلين الترك والكورد قد تركوا المعسكر العثماني قبل الاشتباك، فخاف الوالي احمد پاشا ان تسري روح التمرد بين الجنود فأمر بالاسراع في الهجوم على الجيش الافغاني (٥٧) أما مسألة حرص خانة پاشا وباقي الأُمراء الكورد على عدم الاخلال بالتوازن بين الدولتين الايرانية والعثمانية، فيمكن اعتبارها هدفاً بعيد المدى أو عاملاً ضمناً.

وفيما يتعلق بهذه المسألة ايضاً لا بد من القول بانها تؤكد أهمية الثقل العسكري الكوردي بالنسبة للدولة العثمانية وخاصة في صراعها مع ايران، بحيث أصبحت القوات الكوردية هي «القوة الوحيدة المعول عليها» في هذه الحرب كما يقول (عباس العزاوي) الذي يعتبر هذا الاعتماد خطأً عسكرياً فيضيف: «فأنهم برجوعهم خذلوا الجيش» (٥٨)،

كما يبرز هذا الاعتماد على القوات الكوردية وتسليم قيادة ميمنة الجيش العثماني في المعركة للأمير الباباني خانة پاشا، مدى تطور العلاقات السياسية بين بابان و بغداد قبل الحادثة.

مهما كان الأمر فمما يبعث على الدهشة هو عودة خانة پاشا الى الوالي احمد پاشا في العام التالي والاعلان عن ندمه وانحيازه الى المعسكر العثماني مرة اخرى، وقد ابلى بلاءً حسناً في الحروب التالية الى جانب العثمانيين، كما استمر في إدارة اردلان مخلقاً وراءه اخيه خالد پاشا لادارة مناطق بابان (٥٩). ولكن يبدو ان احمد پاشا لم ينسَ له ذلك الموقف الذي سبب له هزيمة نكراء أمام الافغانيين، فدبر مقتله بينما كان يحارب في منطقة تبريز حوالي عام ١٧٢٨، كما تذهب الى ذلك العديد من المصادر (٦٠). وفيما يتعلق بمصيره يجدر بالتنويه ان حسين حزني موكرياني يورد حديثاً مخالفاً تماماً لما أوردناه سابقاً، فيؤكد على ان عهد خانة پاشا قد استمر حتى ظهور نادر شاه (طهماسب قولي-آنذاك) على مسرح الأحداث وغزوه الدولة العثمانية ومناطق كوردستان التابعة لها فتعاون المذكور مع نادر شاه بعد ان قاومه بعض الوقت، الأمر الذي دفع بالوالي احمد پاشا الى استدراجه الى بغداد (٦١)، فقتله اثناء نومه واعيدت جثته الى كوردستان (٦٢). ولكن هناك عدة ادلة تثبت بطلان صحة ما ذهب اليه موكرياني، فالى جانب انفراده بهذه الأقوال فانه لا يذكر المصدر الذي أخذ عنه ذلك، ومن جهة اخرى ان (احمد جودت) الاقرب الى الاحداث زمنياً يذكر ان ظهور نادر شاه كان في زمن إمارة خالد پاشا الذي تولى بعد خانة پاشا (٦٣). كما ان ميرزا مهدي خان الذي كان المؤرخ الرسمي لنادر شاه و مرافقه في حملاته لا يذكر قطعاً خانة پاشا اثناء ذكر غزوات نادر شاه،

بل يذكر خالد پاشا الذي تولى بعد خانه پاشا (٦٤).

بالرغم من ذلك ظلت اردلان خاضعة لنفوذ البابانيين، اذ حكمها بعد خانه پاشا ابنه محمد بك حتى تسلط نادر شاه على ايران الذي انهي السيطرة البابانية على اردلان في عام ١٧٣٠ (٦٥). أما فيما يتعلق بإمارة بابان نفسها فقد تسلم حكمها خالد باشا الذي استخلفه خانه باشا في مركز الإمارة اثناء حياته حينما كان يهتم هو بأمور اردلان والغزوات في ايران كما مر ذكر ذلك (٦٦). ويتولي خالد باشا منصب الإمارة بشكل رسمي لم تتأثر العلاقات بين بابان و بغداد التي ظلت جيدة بشكل عام.

الهوامش:

- (١) ينظر موضوع (نبذة عن نشأة امارة بابان) في الصفحات السابقة.
- (٢) حول ظروف دخول تلك المنطقة الى دائرة النفوذ العثماني يراجع: سعدي عثمان حسين: كوردستان و الامبراطورية العثمانية، اطروحة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب جامعة صلاح الدين- اربيل/ ١٩٩٥، ص ٥٦-٥٨ .
- (٣) نفس المصدر، ص ٦٠-٦١ .
- (٤) لونكريك: اربعة قرون، ص ١٠٥؛ محنة مدة ثمةمين زةكي: تاريخي ولآتي سليمان، ج١، بةغدا ١٩٣٩، ل ٤٥ .
- (٥) نظمي زاده: گلشن خلفا، ص ٢٩٦-٢٩٧؛ لونكريك: اربعة قرون، ص ١٠٥-١٠٦ .
- (٦) نفس المصدر، ص ١٠٦؛ زةكي: تاريخي ولآتي سليمان، ص ٥٦ .
- (٧) نظمي زاده: گلشن خلفا، ص ٣٢٨؛ جودت: تاريخ جودت، ج١، ص ٢٧٤ .
- (٨) عبدالرحمن السويدي: تاريخ بغداد (أو -حديقة الزوراء في سيرة الوزراء) ج١، بغداد- ١٩٦٢، ص ٦٣ .
- (٩) تم تحديد هذه الامتيازات بموجب بنود الاتفاق الكوردي العثماني المبرم بين السلطان سليم الأول و ادريس البتليسي ممثلاً عن الأمراء الكورد في عام ١٥١٤ ولعل لهذا الاتفاق انعكاس على وضعية بابان أيضاً. ينظر: سعدي عثمان: كوردستان والامبراطورية العثمانية، ص ٤٢-٤٥ .
- (١٠) فيما يتعلق بتطورها نجد بأن سيادة بابان و نفوذها كانت في الازدهار على حساب ايالة شهرزور منذ مطلع القرن الثامن عشر حتى لم تعد للأخيرة اية قدرة على ادارة الامور هناك بل لم تلبث ان فقدت مكانتها في القرن نفسه، حسب تعبير المؤرخ عبد العزيز سليمان نوار، ينظر: تاريخ العراق الحديث، القاهرة ١٩٦٨، ص ٨ .
- (١١) ينظر: رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، (ت: موسى كاظم نورس) بيروت (بدون تاريخ الطبع) ص ١١٧، ص

١٤٦ وكذلك عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، مج ٥، بغداد ١٩٥٣، ص ١٩١ .

(١٢) ينظر: عثمان بن سند البصري: ٥٥ عاماً من تاريخ العراق (مختصر كتاب: مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود)، القاهرة ١٩٥٢، ص ٣٣ - ٣٥؛ وكذلك العزاوي: تاريخ العراق، مج ٥، ص ٢٨١ .

(١٣) ينظر: الكركوكلي: دوحه الزوراء، ص ١٨٦؛ وكذلك عثمان بن سند: مطالع السعود، ص ٢٥؛ وكذلك: لونكريك: اربعة قرون، ص ٢٤٨ .

(١٤) ينظر: السويدي: حديقه الزوراء، ج ١، ص ٦٣؛ نظمي زاده: گلشن خلفا، ص ٣٢٨ وكذلك ياسين العمري: غاية المرام في تاريخ بغداد دار السلام، بغداد ١٩٦٨ ص ١٨٣ .

(١٥) نوار: تاريخ العراق الحديث، ص ١٠ .

(١٦) حسب النظام العثماني كان الولاية على ثلاث درجات: الاول له ثلاث طوغات والثاني طوغتان والثالث طوغه واحدة (الطوغه كانت رمزاً يحدد وظيفة عثمانية بارزة).

(١٧) فيصل الارجم: تطور العراق تحت حكم الأتحمادين، الموصل ١٩٧٥، ص ٢١ .

(١٨) نوار: تاريخ العراق الحديث، ص ٨ - ٩ .

(١٩) السويدي: حديقه الزوراء، ج ١، ص ٧١ .

(٢٠) نفس المصدر، ص ٦٣؛ وكذلك نظمي زاده: گلشن خلفا، ص ٣٢٨ .

(٢١) لونكريك: اربعة قرون، ص ١٥٨ وكذلك عماد عبدالسلام رؤوف: الموصل في العهد العثماني، النجف ١٩٧٥، ص ١٢٤ .

(٢٢) كارستن نيبور: رحلة نيبور الى العراق في القرن ١٨ (ت: محمود حسين الامين) بغداد (بدون تاريخ) ص ٥٥ وكذلك ينظر: لونكريك: اربعة قرون، ص ١٩٦ .

(٢٣) اشتهر به (بتهكره بتهكي سوور - بكر بك الاحمر) حول سيرته يراجع: جمال بابان: بابان في التاريخ ومشاهير البابين، بغداد ١٩٩٣، ص ١٣٨ .

(٢٤) زهكي: تاريخي ولآتي سليمان، ل ٥٨ وكذلك صالح قهفتان: ميژوي گتلي كورد، بتغدا ١٩٦٩، ل ٣٠٨ .

(٢٥) نظمي زاده: گلشن خلفا، ص ٣٢٨؛ السويدي: حديقه الزوراء، ج ١، ص ٦٣؛ زهكي: تاريخي ولآتي سليمان، ل ٥٩؛ صالح قهفتان: ميژوي گتلي كورد، ل ٣٠٨ .

(٢٦) ينظر: اربعة قرون، ص ١٥٧ . جدير بالذكر ان احد المؤرخين يذكر خطأ بأن عهد بكر بك كان عهد سلام ولم تحدث فيه اية اشتباكات خاصة مع السلطات العثمانية، ينظر: قهفتان: ميژوي حوكمداراني بابان، ل ٣٢ - ٣٣ .

(٢٧) السويدي: حديقه الزوراء، ج ١، ص ٦٣ .

(٢٨) نفس المصدر والصفحة .

(٢٩) نظمي زاده: گلشن خلفا، ص ٣٢٨ وكذلك زهكي: تاريخي ولآتي سليمان، ل ٥٩ .

(٣٠) نظمي زاده: گلشن خلفا، ص ٣٢٨ .

(٣١) السويدي: حديقه الزوراء، ج ١، ص ٦٤ .

(٣٢) نظمي زاده: گلشن خلفا، ص ٣٢٨؛ عزاوي: تاريخ العراق، مج ٥، ص ١٩١ .

(٣٣) ينظر: جمال بابان: بابان في التاريخ، ص ١٣٨ .

(٣٤) ينظر: السويدي: حديقه الزوراء، ج ١، ص ٦٤ .

(٣٥) مثال ذلك: نظمي زاده: گلشن خلفا، ص ٣٢٨؛ زهكي: تاريخي ولآتي سليمان، ل ٥٩ .

(٣٦) ينظر: العزاوي: تاريخ العراق، مج ٥، ص ١٩١؛ صالح قهفتان: ميژوي گتلي كورد، ل ٣٠٨ .

(٣٧) السويدي: حديقه الزوراء، ج ١، ص ٦٤ .

(٣٨) قهفتان: ميژوي حوكمداراني بابان، ل ٣٤ وكذلك زهكي: تاريخي ولآتي سليمان، ل ٦٠ .

(٣٩) ويقال خانك و خانه محمد ايضاً . يقول لونكريك بانه ابن بكر بك (ينظر: اربعة قرون، ص ٩٣) الا ان مصادر اخرى تجعله ابن تيمورخان أخي بكر بك، وهذا أقرب الى الحقيقة، ينظر: قهفتان: ميژوي حوكمداراني بابان، ل ٣٤ وكذلك زهكي: تاريخي ولآتي سليمان، ل ٦٠ .

(٤٠) حول الغزو العثماني لايوان والعلاقات العثمانية الايرانية آنذاك ينظر:

عبدالعزیز سلیمان نوار:التاریخ الحدیث الشعوب الاسلامیة، بیروت ۱۹۷۳، ص ۲۷۳ ومابعدها وكذلك د. علاء نورس: العراق في العهد العثماني، بغداد ۱۹۷۹، ص ۷۱ ومابعدها .

(۴۱) لونكریک: اربعة قرون، ص ۱۶۲ - ۱۶۳ وكذلك نورس: العراق في العهد العثماني، ص ۱۰۱

(۴۲) قةفتان: میژووي حوكمداراني بابان، ل ۴۱ .

(۴۳) ينظر: اسماعیل عاصم چلبی زاده: تاریخ چلبی زاده (باللغة التركية) القسطنطينية ۱۱۵۳هـ، ص ۲۰؛ العزاوي: تاریخ العراق، مع ۵، ص ۲۰۶؛ ماهشقره قخانم مستوروي كوردستاني: میژووي ثقرده لان، چاپی بة كتم بة غدا ۱۹۸۹، ل ۸۸ - ۸۹ وكذلك زةكي: تاریخ و لآتي سليمان، ل ۶۱ .

(۴۴) چلبی زاده: تاریخ چلبی زاده، ص ۲۰؛ العزاوي: تاریخ العراق، مع ۵، ص ۲۰۶، ويقول علاء نورس بان عبدالرحمن پاشا والي شهرزور هو الذي قاد الحملة على لورستان. ينظر: العراق في العهد العثماني، ص ۱۱۲ .

(۴۵) جودت: تاریخ جودت. ج ۱، ص ۲۷۳؛ لونكریک: اربعة قرون، ص ۱۵۷، ۱۹۳؛ زةكي: تاریخ و لآتي سليمان، ل ۶۱ .

(۴۶) في اعقاب وفاة حسن پاشا في اوائل عام ۱۷۲۴ تولى ابنه احمد پاشا حكم ايالة بغداد ومعه قيادة القوات العثمانية الزاحفة في غربي ايران. نورس: العراق في العهد العثماني، ص ۱۱۲ .

(۴۷) قةفتان: میژووي حوكمداراني بابان، ل ۴۶ - ۴۷؛ زةكي: تاریخ و لآتي سليمان، ل ۶۲؛ العزاوي: تاریخ العراق، مع ۵، ص ۲۱۲ - ۲۱۳؛ تولى خانه پاشا بنفسه ادارة شؤون اردلان لينوب عنه اخوه خالد پاشا في الجزء الاصيلي من إمارة بابان، ولهذا يطلق عليه المؤرخ (العزاوي) لقب امير اردلان اثناء اشتراكه في تلك الحملات. ينظر: نفس المصدر، ص ۲۱۲ - ۲۱۳ .

(۴۸) قةفتان: میژووي حوكمداراني بابان، ل ۴۷ .

(۴۹) زةكي: تاریخ و لآتي سليمان، ل ۶۲ .

(۵۰) حول تلك السياسة العثمانية راجع: سعدي عثمان: كوردستان والامبراطورية العثمانية، ص ۷۸ - ۸۱ .

(۵۱) چلبی زاده: تاریخ چلبی زاده، ص ۱۱۰ وكذلك لونكریک: اربعة قرون، ص

۱۶۶؛ زةكي: تاریخ و لآتي سليمان، ل ۶۳ .

(۵۲) ينظر: چلبی زاده: تاریخ چلبی زاده، ص ۱۱۰ وكذلك نوار: التاريخ الحديث الشعوب الاسلامیة، ص ۲۹۶ وكذلك نورس: العراق في العهد العثماني، ص ۱۲۸ .

(۵۳) ينظر على سبيل المثال ، چلبی زاده: تاریخ چلبی زاده، ص ۱۱۰؛ الكركوكلي: دوحة الوزراء، ص ۲۳؛ محمد سعيد المدرس: گلشن معارف ، ج ۲، استانبول ۱۲۵۲، ص ۱۲۳۴ .

(۵۴) هما : امين زكي في كتابه: تاريخ و لآتي سليمان، ل ۶۴، وصالح قةفتان في كتابه: میژووي گةلي كورد، ل ۳۰۹ .

(۵۵) ينظر: د. كاوس قةفتان: چةند ليكدئينة ويةك لة میژووي بابان سڈران بڈتان، بة غدا ۱۹۸۵، ل ۱۳ .

(۵۶) ينظر : زةكي: تاریخ و لآتي سليمان، ل ۶۳ .

(۵۷) نورس: العراق في العهد العثماني، ص ۱۲۸ .

(۵۸) العزاوي: تاریخ العراق، مع ۵، ص ۲۲۰ .

(۵۹) زةكي: تاریخ و لآتي سليمان، ل ۶۴ - ۶۵؛ صالح قةفتان: میژووي گةلي كورد ، ل ۳۰۹ .

(۶۰) ينظر: قةفتان: میژووي حوكمداراني بابان، ل ۴۸؛ صالح قةفتان: میژووي گةلي كورد، ل ۳۰۹؛ زةكي: تاریخ و لآتي سليمان، ل ۶۵؛ جمال بابان: بابان في التاريخ، ص ۴۰ . والجدير بالذكر ان تدقيق قةفتان يرد مقتله الى وشاية الحاسدين على مكانته المقربة من الوالي، وساهم في تقوية هذه الوشايات كبرياء خانه پاشا وعدم تعلقه للوالي. ينظر: میژووي حوكمداراني بابان، ل ۴۷ - ۴۸ . ويذهب جمال بابان الى ان المذكور قد اختلف مع الوالي فقام الاخير بقتله، بابان في التاريخ، ص ۴۰ .

(۶۱) كان ذلك في عام ۱۷۳۳ حسب أقوال المكرباني، فكان الاستدراج عقب هزيمة نادر شاه أمام طوبال عثمان پاشا مباشرة، والتي وقعت في نفس السنة المذكورة. ينظر: ثاوربكي پاشقوة، ب ۱، ل ۱۰۴ - ۱۰۵ وكذلك میژووي كوردو نادر شا لةخاكي ئيرانا، رةواندز ۱۹۳۴، ل ۵۴ .

(۶۲) نفس المصدرين والصفحات المذكورة.

- (٦٣) جودت: تاريخ جودت، ج١، ص ٢٧٣ .
- (٦٤) ميرزا مهدي خان استرابادي: درة نادرة، شيراز ١٢٧١ هـ، ص ٢٨٦ .
- (٦٥) لونكريك: اربعة قرون ، ص ١٩٣؛ زةكي: تاريخي ولآتي سليماني، ل ٦٥ -
- ٦٦؛ مستوورةي كوردستاني: ميژوي ئقردهلان، ل ٩١ .
- (٦٦) ينظر هامش (٤٧) من هذا البحث .

البحث الثاني

سليم پاشا الباباني وتحدي النفوذ العثماني

(صفحة من تأريخ العلاقات البابانية العثمانية في القرن ١٨)

تمهيد:

تعرضت جوانب كثيرة من تاريخ الشعب الكردي للتشويه والاهمال، وهذا جار على العصور التاريخية كافة، ولكن ما يهمننا هو العصر الحديث أو العهد العثماني بالتحديد. فمصادرنا الاساسية لتدوين احداث هذا العهد تكاد تنحصر في المصادر العثمانية واحيانا كتب الرحالة الاجانب، اما المصادر الكوردية فتكاد تنعدم خلال تلك الفترة باستثناء كتاب (الشرفنامه)، واذا علمنا ان الموضوعية والمنهج العلمي في تدوين التاريخ قد عدا من الامور الغريبة بالنسبة لهؤلاء المؤرخين العثمانيين على الاغلب، ادركنا حينئذ فضاة الامر. فقد وصفوا الكرد باللصوص وقطاع الطرق تارة او الآت بشرية يجب استخدامها لمصالحهم السياسية والعسكرية والاقتصادية تارة اخرى. ومن اكثر الجوانب تعرضا للتشويه تلك الحركات الكوردية التي قامت ضد السلطات العثمانية والتي يمكن وصف بعضها بالانتفاضة وبعضها الاخر بثورات وطنية، فقد تم تفرغ تلك الحركات من محتوياتها الوطنية او على الاقل من اهدافها الحقيقية، فلم يجدوا ما ينعثوا بها تلك الحركات غير اعتبارها حركات تمرد او عصيان مسلح وما شابه ذلك. ليس هذا فحسب بل حاولوا التقليل من اهميتها وتوسيعها ايضا لكي لا تسترعي الاهتمام

الذي تستحقه ومن جملة تلك الحركات او الانتفاضات الكردية نذكر انتفاضات سليم پاشا بابان موضوع البحث.

رغم المحاولات التي بذلها هؤلاء المؤرخون العثمانيون للتقليل من شأن انتفاضات سليم پاشا واخفاء صفحاتها وتجريدها من اهدافها السياسية، فأنا نستطيع ان نعثر على ما يبرز اهمية هذه الانتفاضات في تاريخ الحركة التحررية الكردية، وذلك من خلال الامعان في الاشارات الواردة بين السطور في كتابات هؤلاء المؤرخين. فقد أطلقوا من خلال تعابيرهم عبارات نستطيع ان نتوصل من خلالها الى حقائق الامور لتنجلي لنا بعض الصفحات المهمة من تأريخ الشعب الكردي. ولهذا اتبعت هذه الدراسة المنهج التحليلي لعرض الحوادث التاريخية ودراسة اسبابها وظروفها وابعادها، ودون الابتعاد عن السند التاريخي. وفيما يتعلق بمصادر البحث فيمكن القول بانها عديدة ومتنوعة، ولكننا نكتفي بالاشارة الى اهمها، وقبل كل شيء نشير الى المصدر الفارسي المعنون (درة نادرة) لمؤلفه ميرزا مهدي خان استرابادي، لاهميته الاستثنائية لان مؤلفه كان كاتباً رسمياً لنادر شاه ومرافقاً له في حملاته، ولهذا فالمؤلف شاهد عيان لبعض الجوانب المهمة من هذا الموضوع. وبعد ذلك يجدر ذكر كتاب (تاريخ جودت) للمؤرخ العثماني احمد جودت، وهو من المصادر الاصلية لموضوع البحث ايضا وبالإضافة الى هذين المصدرين هناك مصادر مهمة اخرى منها مصادر عثمانية كتبت باللغة التركية او العربية وتبحث في امور ولايات العراق ولكنها تحوي معلومات مفيدة عن حوادث الامارات الكردية وحركاتها العسكرية ايضا. من هذه المصادر نخص بالذكر مؤلف رسول الكركوكلي (دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء)، وكتابي (غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام) و(زبدة الاثار الجليلة في الحوادث الارضية)

للمؤرخ الموصللي ياسين العمري. وهناك مصدر فارسي مترجم الى الكردية تحت عنوان (ميژووي ثردة لان)، لمؤلفها (ماهشة رةفخانم) وتأتي أهمية هذا المصدر من حيث تصديه للحوادث المتعلقة بالجانب الايراني وامارة اردلان في موضوع البحث. واخيرا لاننسى الاشارة الى كتب الرحالة وبالاخص نيبور الذي جاء بعد مضي سنين قليلة من حوادث الدراسة. هذا الى جانب مصادر اخرى لانرى ضرورة ادراجها هنا.

سليم پاشا الباباني.. نسبه.. مولده.. نشأته:

تختلف المصادر حول نسب سليم پاشا وكذلك حول صلته بالشخصيات البابانية المعاصرة له او المقاربة منه زمنيا. فعلى سبيل المثال يذهب المؤرخ العثماني (احمد جودت) الى انه حفيد بكر بك المشهور بـ(بةكرة سوور- بكر الاحمر) ابن بابا سليمان (او سليمان به به)، ومن صلب خانة پاشا^(١). و وفقا لمصدر اخر فهو ابن خالد پاشا المنسوب بدوره الى بكر بك^(٢) ولكن في جهة اخرى هناك شبه اتفاق بين المصادر الاخرى على ان سليم پاشا هو ابن بكر بك^(٣) اما فيما يتعلق بصلة بكر بك بـ(بابا سليمان) فتتباين الآراء بين القول بان بكر بك هو اخ بابا سليمان^(٤) والقول بانه ابنه^(٥)، وبعد ترجيح الرأي الاخير يمكن القول ان سليم پاشا هو ابن بكر بك بن سليمان پاشا (بابا سليمان) الذي ينسب الى فقي احمد داره شمانه جد العائلة البابانية.

ان تحديد نسب سليم پاشا كان امرا صعباً كما راينا وذلك بسبب اختلاف المصادر وتضارب الآراء حوله، وتشكل مسألة المصادر عاملا معرقلا في تحديد سنة مولده ايضا، ولكن المشكلة تكمن هذه المرة في عدم وجود اية اشارة حول الموضوع. الا انه بالرغم من ذلك يمكن

الاستفادة من بعض الاشارات الواردة في تلك المصادر واستخلاص بعض المعلومات في هذا المجال.

عندما قتل بكر بيك ابو سليم پاشا عينت السلطات العثمانية حاكما عثمانيا على امارة بابان، وذلك لعدم بلوغ الورثة الشرعيين للامارة سن الرشد^(٦). مما يعني ان سليم پاشا عند وفاة والده بكر بيك عام ١٧١٥ كان لا يزال طفلا كما يشير الى ذلك احد المصادر^(٧) ايضا. وبناء على ذلك نستطيع القول ان (سليم پاشا) قد ولد في العقد الاول من القرن الثامن عشر.

اما فيما يتعلق بنشأة وشخصية سليم پاشا فلا تسعفنا المصادر ايضا اذ لا تمدنا باية معلومات في هذا المجال مما يضطرنا الى الاستنتاج. فمن بديهيات الامور انه تلقى الرعاية من لدن اسرته التي كانت ميسورة الحال على اغلب الظن كسواها من الاسر البابانية المتمتعة بالسلطة الاقطاعية مع ما يترتب على ذلك من الجاه والمال وامتلاك الاراضي. نشأ سليم نشأة الامراء كأبي فرد من افراد العائلة البابانية اذ كانوا يتلقون في بداية سني حياتهم تعليماً لأبأس بها في المساجد كما يتدربون على الفروسية والشجاعة وغيرها من امور الحرب وكذلك الحكم. وعندما يكبرون يبدون الرأي في شؤون الحكم احيانا او يعينون حكاما على بعض اقاليم الامارة. ويسري ذلك على سليم پاشا ايضا فقد كان في زمن امارة خالد پاشا (١٧٢٨-١٧٤٣) حاكما على منطقة شهرزور^(٨)، ومن اصحاب الرأي والكلمة في (قةآچوالان) مركز الامارة. ولهذا فلا عجب ان نرى نادر شاه يسعى الى كسبه الى جانبه ليستفيد من خدماته ومواليته^(٩).

سليم پاشا ونادر شاه الافشاري وتحدي النفوذ العثماني:

كان لظهور نادر شاه على مسرح الاحداث في الربع الثاني من القرن الثامن عشر تأثير كبير على مجمل تاريخ الشرق الاوسط وبضمنها اماره بابان التي تعرضت لتغيرات كثيرة اثر ذلك. فقد عد سليم بك (١٠) الباباني نادر شاه سندا يعتمد عليه للوصول الى كرسي اماره بابان في (قلاچوالان) لبدأ بتنفيذ مشروعه الرامي الى ضرب النفوذ العثماني في امارته وبناء كيان كردي موحد يشمل معظم انحاء كردستان الجنوبية. وقبل التصدي لموضوع علاقة سليم بك بنادر شاه وتحدي النفوذ العثماني على بابان نرى ضرورة التنويه بانه رغم تبعية اماره بابان لايالة شهرزور في تلك الفترة وفقا للتقسيمات الادارية العثمانية، فان إيالة بغداد هي التي كانت تمارس النفوذ على بابان، بل وعلى معظم الامارات الكردية في كردستان الجنوبية ايضا، وبذلك كانت بغداد تمثل الحكومة العثمانية في تعاملاتها مع تلك الامارات عموما وامارة بابان بشكل خاص (١١). ومن الباحثين من يشير الى وجود علاقات مبكرة بين سليم بك ونادر شاه الافشاري، اذ يقول ما ملخصه (بعد استرداد نادر شاه (طهماسب قولي انذاك) (١٢) لمدينة كرمانشاه الكردية من العثمانيين بسهولة في عام ١٧٢٧م، جهز خانه پاشا امير بابان جيشا كبيرا وطلب العون من تيمور پاشا المللي حاكم وان وامراء كرد اخرين، وبعد ان سارع هؤلاء لمعاونته تقدم هذا الجيش الكردي الى سهل (ملاير) لوقف زحف نادر شاه الذي جاء من جهة همدان، اشتبك الجيشان وبدأت الكفة تميل ضد الجانب الكردي لولا دور سليم بك الذي صال صولة الابطال وبرز اسمه منذ ذلك اليوم بين الاعداء والاصدقاء، فقد وقف في وجه جيش نادر شاه وتمكن من قتل واسر عدد كبير منهم وحصل على

غنائم وفيرة، وبذلك اجبر قوات نادر شاه على التقهقر ... بعد هذا النصر الذي تحقق بفضل سليم بك اضطر نادر شاه الى مراسلة خانه پاشا فبدأ التقارب بين الجانبين وتوصلوا الى عقد اتفاق بينهما أمن نادر شاه بموجبه من قتال الكرد وسار بجيشه نحو تبريز) (١٣).

وبمجرد القاء نظرة سريعة على الملخص السابق نجد بان الحقائق التاريخية التي ورد البعض منها فيما سبق، قد فقدت مصداقيتها ايضا عندما البست ثوبا اسطوريا، فأصبح بإمكاننا وصف كل ما سبق بانها نسيج خيال المؤلف، ففي عام ١٧٢٧م كانت قوة نادر خان في طور النشوء و ينحصر نفوذه في اقليم خراسان وحده ولا يزال الافغان يسيطرون على مقاليد الحكم في العاصمة اصفهان (١٤). كما ان خانه پاشا الباباني قد مات او قتل في زمن الحكم الافغاني في ايران ولم يعاصر تسلط نادر خان على ايران ومحاولاته استرجاع المناطق التي استولي عليها العثمانيون بمشاركة خانه پاشا (١٥). بل و ان المعركة كلها التي يصورها المؤلف على انها بين نادر خان و جيش كردي خالص، لم نسمع بحدوثها في المصادر التاريخية في تلك الفترة، ناهيك عن البطولة الخارقة التي تميز بها سليم بك وانتصاره على نادر خان التي هي اقرب الى الملاحم الاسطورية منها الى الواقع التاريخي. وبعد ذلك كله لا يذكر المؤلف ما يستند عليه في تلك الرواية.

بعد ان تمكن نادر خان من القضاء على الحكم الافغاني في ايران عام ١٧٢٩م ونجح في ازاحة القوى الخارجية (المتتمثلة بروسيا و الدولة العثمانية) التي كانت تحتل اجزاء من ايران، في السنتين التاليتين، دفعته طموحاته نحو التوسع خارج حدود بلاده، فقد عبر الحدود العثمانية عند نقطة زهاو في خريف ١٧٣٢ و قبل ان يتوجه الى بغداد

لمحاصرتها اراد عزلها عن مناطقها المجاورة و بالاخص عن المناطق الشمالية التي لم يتوقع حصول مقاومة شديدة فيها، فأرسل قسما من قواته تحت قيادة نيرگز خان الى منطقة كركوك، فعاثت هذه القوة الايرانية خرابا في الطريق الذي مرت به صوب كركوك، وارتكبت فظائع اكبر في اطراف كركوك نفسها ولكنها مع ذلك اخفقت في الاستيلاء على المدينة^(١٦) فتركها متوجهة نحو الموصل لتحاصرها دون ان تتمكن من الاستيلاء عليها ايضا. فعادت تلك القوة لتلتحم بالجيش الاصيلي بقيادة نادر خان الذي عبر نهر (سيروان- ديالى) في كانون الثاني ١٧٣٣م زاحفا نحو بغداد^(١٧)، وفي طريقة اباد قوة استطلاعية مكونة من مئتي مقاتل بعثها والى بغداد احمد پاشا (١٧٢٤ - ١٧٤٧م) تحت قيادة محمد پاشا حاكم كويه (كويسنجق) الذي لم ينجح من المعركة ايضا^(١٨)، ومن ثم قام بمحاصرة بغداد.

فيما يتعلق بموقف امارة بابان من هذه التطورات هناك روايتان مختلفتان، فالاولى تذهب الى ان خالد پاشا امير بابان وقتذاك وقف موقفا محايدا من الطرفين المتحاربين مفضلا مصلحة امارته على أي شيء اخر، فقد رفض مد يد العون لوالي بغداد عندما طلب الاخير منه ذلك، وذلك بحجة تكريس جهوده لمحافظة بلاده من الاخطار، كما عارض في الوقت نفسه حاكم اذربيجان الايراني لطف علي بك عندما عرض عليه موالاته نادر خان ومساعدته في قتال العثمانيين، او على الاقل السماح له بالمرور بقواته عبر مناطق نفوذه ليلتحق بجيش سيده المحاصر لبغداد^(١٩).

اما الرواية الثانية، فتقول بأن امير بابان ((خانه پاشا))^(٢٠) رغم

وقوفه موقف المحايد عند بداية الغزو النادري للدولة العثمانية، نراه يسارع الى تغيير موقفه ويسعى الى كسب ود نادر خان، فقد قدم له الولاة بواسطة سليم بك الباباني عندما ارسله على رأس قوة من الفرسان البابانيين لينضم الى نادر خان وهو في طريقة الى بغداد. ويساهم سليم بك (حسب الرواية) في عملية تطويق بغداد ويخسر عدد كبير من رجاله في المعارك التي دارت حول اسوار المدينة. ولا يتوقف الامر عند هذا الحد، بل يحارب سليم بك الى جانب قوات نادر خان في المعركة الفاصلة التي وقعت في تموز ١٧٣٣ بالقرب من الدجيل شمال بغداد بين تلك القوات وبين الجيش العثماني الذي ارسل بقيادة طوبال عثمان پاشا لنجدة بغداد. وعند انتهاء المعركة و هزيمة الجيش الايراني تمكن سليم بك من النجاة بصعوبة وعاد مع قلة من رجاله الناجين الى قهلاچولان^(٢١).

بأستثناء هاتين الروايتين لا نعثر بين المصادر المتعلقة بالموضوع على اية اشارة حول موقف امارة بابان او سليم بك الباباني من تطورات الاوضاع اثناء حملة نادر خان الاولى على الدولة العثمانية وحصار بغداد عام ١٧٣٣. وهذا السكوت في المصادر حول المسألة يؤدي بنا الى رجحان الرواية الاولى، فعدم ذكر اية اشارة حول موقف بابان من الوضع معناه عدم القيام باي دور وهذا هو الحياد بعينه. ومما يؤكد ذلك عدم ورود أية اشارة عن المسألة حتى في كتاب (درة نادرة) لمؤلفه ميرزا مهدي خان المرافق لنادر خان اثناء الحملة، هذا في الوقت الذي لم ينس المذكور تدوين دقائق امور الحملة في كتابه^(٢٢). هذا من جهة ومن جهة اخرى فأن الرواية الثانية نفسها، مليئة بالثغرات و الهفوات، فكما ذكرنا سابقا ان الامير الباباني الذي عاصر الغزو النادري للدولة

العثمانية هو خالد پاشا وليس خانة پاشا كما تقول الرواية المذكورة والاول لم يساير نادر خان كما تؤكد جميع المصادر (٢٣).

والجدير بالذكر ان الموقف الحيادي الذي التزمت به امارة بابان لم يحميها من بطش نادر خان، فقد قام المذكور بعد ثلاثة اشهر من هزيمته امام طوبال عثمان پاشا وهجم على الدولة العثمانية مرة اخرى، فهاجم في طريقه نحو كركوك لملاقاة عثمان پاشا منطقة سورداش (٢٤) الغنية بالغلال والمؤن واستولى عليها، واثناء رجوعه منها مر بـ(قلاچوالان) وحصل في هذه الانحاء على مؤن كثيرة لجيشه، اذ نهب ودمر كل ما صادفه في الطريق وتمكن من اخضاع العشائر الكردية المتحصنة بالجبال ومنها قبيلة بلباس الكبيرة (٢٥)، وبذلك وقعت المنطقة تحت سيطرة نادر خان. ولكننا لا نعرف ماذا كان مصير او موقف امراء بابان من هذا الغزو النادري لديارهم، والارجح انهم تواروا عن الانظار او قدموا الطاعة لنادر خان حفاظاً على انفسهم وعلى امارتهم فيميرزا مهدي خان المرافق لنادر خان اثناء الحملة يذكر مرور نادر خان بـ (قلاچوالان) ولا يتحدث عن مقاومتها أو أي شيء آخر (٢٦).

ومما يجدر ذكره ان خضوع بابان لنادر خان لم يستمر طويلا، فبعد ان تمكن المذكور من هزيمة طوبال عثمان پاشا قائد الجيش العثماني في موقعة ليلان بالقرب من كركوك في ٢٦ تشرين الثاني ١٧٣٣، اضطر الى عقد الصلح مع الدولة العثمانية ليعود الى بلاده لمواجهة ثورة نشبت ضده (٢٧).

بالرغم من ذلك فان علاقة امارة بابان مع نادر خان لم تنته عند هذا الحد اذ شهدت السنوات التالية قيام علاقات متينة بين الجانبين عن

طربق الامير الباباني الطموح سليم بك، وذلك خلال الحملة الواسعة التي قادها نادر شاه (٢٨) بنفسه مخترقا الاراضي العثمانية عام ١٧٤٣. ففي تلك السنة زحف رجل ايران الاول على رأس آتة العسكرية التي قدرت بـ (٣٠٠) الف مقاتل وعدد ضخم من المدافع والآت الحصار صوب الموصل بعد ان اجل امر بغداد (٢٩). سلك الجيش الايراني طريق شهرزور حيث استقبل نادر شاه هناك سليم بك الباباني الذي كان حاكما على اقليم شهرزور من قبل خالد پاشا امير بابان. انحاز سليم الى الجيش الايراني وقدم فروض الولاء لنادر شاه (٣٠). ويقال بان المذكور وقف اول الامر موقفا بطوليا و اغار بقوته الصغيرة على مؤخرة الجيش الايراني محدثا فيه خسائر ملموسة، مما حدا بنادر شاه ان يحاول كسبه الى جانبه ليستفيد من شجاعته اولا ويستغله لبث الفرقة بين امراء بابان لتسهيل امر خضوع الامارة ثانيا. فاستدعاه ودخل معه في مجادلة ودية انتهت بكسبه وذلك بعد ان اثار الاخير حمية سليم بك عندما ذكره بمقتل ابن عمه خانة پاشا على يد العثمانيين غدرا و وعده بكرسي امارة بابان (٣١). وبالفعل فقد عين نادر شاه سليم بك اميرا على بابان بعد ان فر منها خالد پاشا الموالي للعثمانيين عندما يقن بانه لا يستطيع مقاومة المد النادري (٣٢) وبذلك خرجت بابان من دائرة النفوذ العثماني واصبحت منذ ذلك التاريخ وحتى بضع سنوات تالية (٣٣) تعد ضمن الاقاليم التابعة لايران. ورغم تأكيد المؤرخ العثماني احمد جودت على ان الايرانيين قداموا بعد ذلك في تدخلهم في ادارة شؤون بابان كيفما شاؤوا (٣٤) الا اننا نستطيع ان نؤكد على ان النفوذ الايراني في بابان كان اسما فقط، فالمؤرخ المذكور لم يدون لنا حادثا واحدا عن تلك

يشن سليم پاشا و لم يؤد به الى التراجع عن مواقفه السابقة من العثمانيين و نفوذهم السياسي.

موقف السلطات العثمانية من سليم پاشا:

رغم انحسار الظل الايراني عن امارة بابان والعراق في اعقاب انسحاب نادر شاه من تلك المناطق بعد فشله في اخضاع الموصل عام ١٧٤٣، فان سليم پاشا لم يياس وظل يناوي العثمانيين ويرفض أي نوع من انواع النفوذ العثماني على بابان، ولتعذر الحفاظ على هذا الوضع امام التهديدات العثمانية في المستقبل اعتمادا على قواه الذاتية المحدودة فانه كان مضطرا الى استمرار علاقاته مع ايران وذلك لتحقيق مبدأ توازن القوى.

ان ما بدر من سليم پاشا كان امراً خطيراً بالنسبة للدولة العثمانية، اذ كانت تعني خسارة امارة بابان باكملها انيا، وتندر بخسارة الامارات الكردية الاخرى في كردستان الجنوبية في المستقبل اذا ما سلكت تلك الامارات مسلك بابان ايضا. بالرغم من ذلك فان إيالة بغداد التي كانت تمثل الدولة العثمانية في تعاملها مع امارة بابان لم تقم باي رد فعل حاسم ازاء سليم پاشا حتى عام ١٧٤٧، وربما يعود ذلك الى الانهك الذي اصابها جراء تعرضها لغزوات نادر شاه التي نالت كثيرا من مقدراتها المادية والبشرية، ففي حصار عام ١٧٣٣ و حدها خسرت بغداد ما يزيد على مئة الف انسان من الجوع حسما يذكر لونكريك (٤٣).

ولعل العثمانيين اخذوا هذه الاوضاع بنظر الاعتبار عندما لجأوا الى اسلوب الردع غير المباشر، وذلك عندما حرضوا احمد خان بن سبجان ويردي (٤٤) امير اردلان اللاجيء الى الدولة العثمانية، ليقوم بقتال

التدخلات كما ان المصادر الاخرى لم تذكر شيئا عنها ايضا. وبعد فراغ نادر شاه من امر شهرزور على ذلك المنوال في صيف ١٧٤٣، توجه نحو كركوك ليستولي عليها بعد محاصرة دامية ثم اعقبها باحتلال اربيل بقسوة بالغة فسار نحو الموصل مدمرا ما صادفه في طريقه من القرى والقصبات وبدأ بمحاصرة المدينة (٣٥). ومن المرجح ان سليم پاشا كان مصاحبا لنادر شاه (لانه اصبح اميرا على بابان) في تلك العمليات العسكرية كما يشير الى ذلك بعض المصادر (٣٦)، وكذلك فان فروض الولاء والطاعة التي قدمها سليم پاشا الى نادر شاه كانت تقضي بذلك. واذا عرفنا بان موقف الكورد خلال تلك الحملة كان يحسب له الحساب من قبل السلطات العثمانية (٣٧)، فاننا ندرك مدى اهمية مشاركة سليم پاشا بقواته الى جانب القوات الايرانية. وبدل على ذلك ايضا ما قام به نادر شاه من اضافة سناجق كركوك واربييل وكويه الى امارة بابان كمكافأة على موقف سليم پاشا (٣٨) الذي لم يتردد حينذاك عن المشاركة في عملية حصار الموصل الى جانب نادر شاه، بل انه اضطر اثناء ذلك الى معاونة الايرانيين على قتال قوة عثمانية جملها من الكرد (٣٩)، وهي القوة الاستطلاعية المؤلفة من ٧٠٠ فارس (بضمنهم حاكم كويه قوچ پاشا (٤٠) مع بعض رجاله) التي خرجت من الموصل و باغتت الجيش الايراني لكنها حوصرت و أوشكت على الابداء لولا بسالة قائدها الذي تمكن من النجاة باعجوبة مع ثلة من قواته و دخلوا المدينة ثانية (٤١).

بالرغم من كل ذلك فان نادر شاه لم يتمكن من الاستيلاء على الموصل واضطر على اثرها الى الانسحاب الى بلاده (٤٢)، ولكن ذلك لم

سليم پاشا بدافع استعادة سلطانه الغابر في اردلان واجزاء من شهرزور. تمكن المذكور من حشد ثمانية الاف مقاتل من الكرد عندما ارسل اليهم الفرامين السلطانية التي تدعوهم باسم الخليفة والدين الى معاضدته، وسار بهم من الموصل الى شهرزور. وعندما علم سليم پاشا بالامر حصن قلاعه ومدنه، كما ارسل افراد اسرته وامواله الى سورداس، ثم توجه بقواته للملاقاة احمد خان فاحرز عليه الانتصار في المعركة التي حدثت بين الطرفين بالقرب من الموصل عام ١٧٤٥ (٤٥).

وعلى صعيد آخر نلاحظ بان إيالة بغداد عندما تأخرت في الرد على سليم پاشا، كانت تأخذ موقف نادر شاه بنظر الاعتبار ايضا، فمن بديهيات الامور ان لا يقف الاخير موقف المتفرج عندما يتعرض احد حكامه التابعين لهجوم كاسح من قبل ايالة بغداد. لذلك فان احمد پاشا الذي كان على رأس ايالة بغداد التي لم تلتأم جراحها بعد، كان غير راغب في خلق ذرائع جديدة لنادر شاه في وقت هو احوج الى السلم منه الى الحرب التي كان يبحث عنها الشاه الايراني، ولهذا فلم تفعل ايالة بغداد شيئا يذكر مع سليم پاشا طوال بقاء نادر شاه مهيمنا على عرش ايران. ولكن عند زوال الاخير من مسرح الاحداث في ايران فان ايالة بغداد سارعت الى اغتنام الفرصة التي طالما انتظرتها للانتقام من امير بابان الصعب المراس، الامر الذي يؤيد ما سبق ان ذهبنا اليه بصد حساب موقف نادر شاه.

قتل نادر شاه في ٢٣ حزيران ١٧٤٧، ولم يمضي على ذلك اكثر من شهر (٤٦) حتى قاد احمد پاشا والى بغداد حملة كبيرة على امارة بابان ليضع حداً لمحاولات سليم پاشا و تحركاته، وبصدد عوامل تلك الحملة يذكر احد المؤرخين العثمانيين ما نصه: ((بالنظر لما كان يقوم به متصرف

بابان سليم من المراوغة ومطاوغة الاعجام و قيامه من حين لآخر باعمال ضد الدولة العثمانية وتحريضه الاكراد على التمرد... فقد عزم الوزير احمد پاشا على ان ينتف من هذا الرجل ريش خيانتته و يقطع منه مادة غوايته...)) (٤٧). وهذا النص انما يدل على ان سليم پاشا قد افلح في ابقاء امارة بابان بمنأى عن النفوذ العثماني طوال اربعة سنوات، وذلك خلافا لما يذهب اليه لونكريك من القول بان هذه الحالة لم تدم الا سنة واحدة (٤٨). وفيما يتعلق بعوامل الحملة ايضا يقول المؤرخ العثماني المذكور: ((فقد وردت الانباء بان الموما اليه اخذ يرأسل من بيدهم الامر من الاعجام بان يمدوه بمقدار من القوات الايرانية النظامية لكي يحتل بها بغداد ويسلمها لهم.)) (٤٩) وقد ردد ذلك مؤرخون محدثون ايضا (٥٠). ولكننا يجب ان نأخذ الامر بتحفظ، لان المؤرخ وقبل كل شيء يمثل وجهة النظر العثمانية الرسمية كسواه من المؤرخين العثمانيين الذين يتهمون الناقمين على الدولة بشتى التهم. كما ان القول وان كان فيه بعض الحقيقة وهي استنجد سليم پاشا بايران لدفع التهديدات العثمانية، فانه بعيد كل البعد عن الواقع في مسألة احتلال بغداد بواسطة القوات الايرانية. وذلك لان ايران كانت تتخبط في الفوضى في اعقاب مقتل نادر شاه (٥١) ولم تكن تستطيع الوقوف على قدميها لتهدد الدولة العثمانية، ثم ماهي مصلحة سليم پاشا في احتلال الايرانيين لايالة بغداد بينما كان يريد اللعب على حبل توازن القوى بين الدولتين.

ومهما يكن من امر فقد سارت الحملة باتجاه قهلاجوالان مركز حكم سليم پاشا، وفي الوقت الذي كان احمد پاشا قد اتخذ كافة استعداداته

للحملة نرى بان الحالة العسكرية في الجانب الاخر لم تكن على ما يرام، فقد انفض غالبية مؤيدي سليم پاشا و قواته من حوله عندما لم يؤيد علماء و مشايخ بابان تلك المعركة بين فئتين مسلمتين ولم تبق معه سوى قلة من المخلصين مع افراد عائلته (٥٢). ولهذا كان من الحكمة عدم ملاقاته خصمه في معركة مكشوفة كما فعل ذلك سليم الذي فضل الالتجاء الى الجبال. الامر الذي يستغله احد المؤرخين العثمانيين لينعت سليم بالجبن و التخاذل حينما يذكر: ((ارتعد فرائصه و اخذه الهلع و الجزع وفر الى اعالي الجبال)) (٥٣). لقد تحصن سليم پاشا في قلعة سروجك (٥٤) و اخوه شير بك في قلعة (قامچوغه) (٥٥)، ولم يتمكن الاخير من الصمود طويلا امام هجمات قوات احمد پاشا، فتعرضت قامچوغه للبطش بدون رحمة عندما استسلمت للمحاصرين بعد ان استطاع شير بك من النجاة بطريقة غامضة. فاصبحت قلعة سروجك الهدف الثاني والرئيسي في الوقت نفسه للحملة العثمانية، ومع استمرار محاصرة تلك القلعة تفشى مرض الحمى (٥٦) بين جنود الوالي بسبب رداءة هواء المنطقة، وفتك المرض بارواح اعداد كبيرة منهم، بل سرعان ما سرى الى الوالي نفسه، ونالت هذه الاوضاع من المقدرة الهجومية لدى الجيش العثماني الذي اكتفى بضرب طوق الحصار على القلعة فقط (٥٧). ويظهر بان الحالة داخل القلعة لم تكن باحسن من خارجها ولا ندري هل كان ذلك بسبب معاناة الحصار ام ان المرض كان قد تفشى بينهم ايضا، حيث وصل اليأس الى نفس سليم پاشا فارسل ابنه (٥٨) الى الوالي احمد پاشا لطلب الامان والعفو فحصل عليها بعدما تعهد بقطع صلته بايران و عدم القيام باية حركة ضد الدولة العثمانية (٥٩).

ولاشك انه للحالة السيئة التي وصلت اليها قوات الوالي دور كبير في قبول عرض سليم پاشا، ليس هذا وحسب بل يمكن اعتبار العرض هدية من السماء بالنسبة لاحمد پاشا الذي كان يعاني من اعراض المرض القاسية، اذ كان يضطر الى ترك الحصار عاجلا ام آجلا بسبب اشتداد المرض عليه. وبالفعل فعندما رحل عن سروجك ليرجع الى بغداد لم يصل الى مقصده الا وقد اصبح جثة هامدة (٦٠).

كان من المحتمل ان يتمكن سليم (المعروف بكثرة مراوغاته) (٦١) بهذا التكتيك من الاحتفاظ بامارته، ولكننا لا نستطيع الجزم بذلك فالمصادر المتيسرة عن الموضوع لا تتفق حول مصير المذكور عقب الحملة الاخيرة. فوفقا لمنطق العفو الذي حصل عليه والعهد الذي قطعه على نفسه كان من الفروض ان يبقى سليم پاشا في منصبه كما ذهب بعض المصادر الى ذلك ايضا (٦٢). ولكن يبدو ان الواقع كان عكس ذلك اذ يقول المؤرخ العثماني (نشاطي) الذي كان شاهد عيان في تلك الحملة (لانه كان يشغل منصبا رسميا في ديوان الوالي) بان الوالي احمد پاشا عشية وفاته اثناء العودة الى بغداد من الحملة المذكورة قد ((نصب سليمان پاشا ال خالد پاشا على بابان، وعثمان پاشا على كوى، وقوج پاشا على اربل...)) (٦٣) مما يعني ان سليم پاشا قد عزل عقب الحملة، كما نفهم من اشارات بعض المصادر الاخرى المعنى نفسه ايضا. فرغم ان تلك المصادر لاتشير صراحة الى عزل المذكور في عام ١٧٤٧، الا انها تؤكد على انه استعاد منصبه من سليمان پاشا الباباني بعد مضي فترة من الزمن (٦٤)، والاستعادة دليل على انه فقد منصبه قبل ذلك، أي في عام ١٧٤٧.

لذا فمن الواضح ان سليم پاشا قد اضطر الى التخلي عن منصب امارة بابان لصالح سليمان پاشا بن خالد پاشا عقب حملة الوالي احمد پاشا الاخيرة. ويبدو ان المذكور قد خلد الى السكينة ولم يأت بأي عمل من شأنه تعكير صفو الاوضاع في المنطقة لاستعادة منصبه الضائع، فالمصادر التاريخية لاتذكر شيئاً عنه خلال تلك الفترة مما يعني غياب دوره في الاحداث، ولكن يتبادر الى الازهان سؤال وهو كيف رضي هذا الامير الباباني الطموح (سليم) بالامر الواقع ولم يحاول الحصول على الدعم الخارجي (من ايران) لتغيير هذا الامر لصالحه؟ الجواب يمكن في ايران ذاتها، اذ انها اصبحت تعاني بعد مقتل نادر شاه في ١٧٤٧ من اضطرابات مريرة في اوضاعها نتيجة الصراعات الدائرة بين القوى المتنفذة على السلطة فيها^(٦٥). ولاشك ان سليما قد استوعب ذلك ولم يبذل جهده دون جدوى فلزم السكون. وفي الواقع ان هذا السكون نفسه كان كفيلا بتحقيق طموحه وتبوأه كرسي بابان مرة اخرى. فبعد مضي بضع سنين حدث تبديل في موقف ايالة بغداد تجاه سليم پاشا ليزداد حظوته لديها على حساب منافسه سليمان پاشا امير بابان، والنتيجة كانت اعادة تنصيب سليم پاشا على امارة بابان وعزل عنها سليمان المذكور وذلك بموجب تفويض رسمي من ايالة بغداد صدر في عام ١٧٤٩^(٦٦). ولكن الامر لم يتم بسهولة لسليم لان سليمان أخذ يسعى للاحتفاظ بمنصبه وكان يساعده عثمان پاشا حاكم كويه في ذلك ولكنه ينهزم في معركة امام قوات امير بابان الشرعي (سليم پاشا) فيلجأ الى (سنه) ^(٦٧) مركز حكم امارة اردلان التابعة لايران^(٦٨). وبهذا فقد انقلبت الآفة اذ حصل الامير الباباني اللاجئ على دعم ومساندة مضيفه الاردلاني الامير حسنعلي خان^(٦٩) للعودة الى كرسي بابان. اما سليم

پاشا فقد دفعت به الظروف الى الوقوف مع العثمانيين في معسكر واحد لمجابهة هذا الغريم الباباني ومسانده الاردلاني. ورغم ان سليم پاشا والمسؤولين العثمانيين المؤيدين له بذلوا مجهودا كبيرا لاقناع امير اردلان بالعدول عن موقفه والمحافظة على العلاقات الودية بين الطرفين الا ان ذلك لم يثن حسنعلي خان عن عزمه. عند ذلك عاضدت ايالة بغداد سليما بما اوتيت من قوة اذ ارسل الوالي كهيته على راس قوة عسكرية لينضم الى سليم پاشا مع قوات حكام المناطق المجاورة لبابان^(٧٠). وكان من الطبيعي ان يتولى الكهية (باعتباره ممثلا عن الوالي) قيادة هذه القوات التي انتصرت على الطرف المقابل في المعركة التي وقعت في سهل (مريوان)^(٧١) في اراضي اردلان^(٧٢).

لم يستمر الوئام بين سليم پاشا والعثمانيين طويلا وذلك بسبب طموحات سليم السياسية ومشاريعه التوسعية، فبعد ترسيخ سلطته داخل امارته ركز جهوده نحو توسيع رقعة نفوذه من جهة والتخلص من التبعية العثمانية من جهة اخرى^(٧٣). وبالفعل فقد ضرب بعلاقاته الحسنة مع العثمانيين عرض الحائط وامتنع عن تلقي اوامر ايالة بغداد وارشاداتها، وظل يناويء المسؤولين العثمانيين مدة عامين بل ويشير حفيظتهم ايضا بحركاته العسكرية الهادفة الى ضم النواحي المجاورة لاماراته^(٧٤)، ودخلت تلك الحركة مرحلة جديدة عندما عقد سليم حلفا مع عثمان پاشا حاكم كويه واخيه قوچ پاشا حاكم اربيل من اجل توسيع نطاق اعماله وتحقيق اهدافه، فقام الحلفاء بتنفيذ المشروع بشكل تدريجي اذ بدأوا يرسلون الحملات العسكرية على الاقاليم الكردية في كردستان الجنوبية ويستولون عليها شيئاً فشيئاً^(٧٥) وقطعوا شوطا كبيرا في هذا

المجال، فقد وصل مدهم الى زنكباد^(٧٦) بل والى النواحي القريبة من بغداد نفسها^(٧٧). كما هنالك اشارة الى ان سليم پاشا قد تمكن في تلك الفترة من ضم امارة اردلان الكردية الى امارته ايضا^(٧٨)، ولكن لم يرد تأكيد لذلك في أي مصدر اخر.

عندما استفحلت الانتفاضة الى هذه الدرجة التي اصبحت تهدد بضياع ما بذله العثمانيون من جهود طوال قرنين من الزمن لترسيخ سيطرتهم في انحاء كردستان الجنوبية، حينئذ كان على ايالة بغداد ان تتحرك لانقاذ حصيلة تلك الجهود المبذولة. اراد سليمان پاشا ابو ليلة والي بغداد (١٧٥٠-١٧٦٢) ادخار طاقاته المادية والعسكرية اول الامر فلجاء الى الاساليب الدبلوماسية داعيا سليم پاشا الى التخلي عن انتفاضته ضد الدولة العثمانية او ((تمرده و عصيانه)) من وجهة النظر العثمانية^(٧٩)، وعندما لم تات تلك الاساليب بالنتائج المرجوة منها، اضطر الوالي الى اتباع اسلوب القوة العسكرية فجهز جيشه واستعد لقيادة الحملة بنفسه. تحركت الحملة في ٢١ شعبان سنة ١١٦٤هـ^(٨٠) (١٧٥١م). وعندما بلغت بلدة دلي عباس بعد خمسة ايام عمد الوالي سليمان پاشا الى استخدام نفوذه السياسي و الادبي (باعتباره ممثلا لادارة السلطان العثماني و نائبا عنه في بغداد) لشق صفوف المنتفضين و عزل رؤوس الانتفاضة وحرمانهم من التأييد الشعبي وتعزير زعماء تلك النواحي واعيانها، فقد كتب امرا الى اقاليم بابان وكويه وحرير ودرنه واربييل ومساكن قبيلة زنكنة^(٨١)، دعى فيها الحكام وزعماء العشائر والاعيان وعلماء الدين وسائر السكان الى التزام الهدوء وعدم مناصرة المنتفضين، واستخدم تعبيرات دينية بطلبه منهم

عدم شق عصا المسلمين، كما لم ينس ان يهددهم ويحذرهم من مخالفة اوامرهم. بالاضافة الى ذلك فقد استهدف الوالي احباط معنويات المنتفضين والتقليل من عزيمتهم بتهديد زعماء الانتفاضة وهم سليم پاشا وعثمان پاشا وقوچ پاشا وتحذيرهم من عاقبة امرهم^(٨٢). رغم ان سليم پاشا وحليفه لم يتأثروا بتلك التهديدات، الا انها اثرت فيهم بصورة غير مباشرة، فقد نتج عنها فقدان العديد من المؤيدين وبالاخص عندما لعب علماء الدين دورا سلبيا في المسالة بتثبيط الهمم ومساندة نداء الوالي الذي يحرم الاشتراك في الانتفاضة بحجة عدم تفريق امر المسلمين^(٨٣) ويمكن اعتبار ذلك من العوامل التي ساهمت في اضعاف معسكر المنتفضين امام جيش ايالة بغداد في المعركة التي دارت بين الطرفين في اقصى شمال بغداد^(٨٤)، حيث لم يستطع الجانب الكردي الصمود طويلا امام جيش الوالي المنظم والمسلح جيدا فتفرق شملهم. التجأ سليم پاشا مع بعض مخلصيه الى ايران^(٨٥)، وفيما يتعلق بحلفائه ومؤيديه فان عثمان پاشا انسحب الى مركز حكمه في كويه ومنها الى جبل او قلعة تسمى ئاوة گرد^(٨٦) بالقرب منها وتحصن هناك مع اهله وبعض مؤيديه دون ان يعلم الجيش العثماني بمكانه^(٨٧). اما اخيه قوچ پاشا فانه ذهب الى قلعة اربيل الحصينة ليحتمي بها^(٨٨)، اما سليمان بك امير درنه الذي كان من حلفاء سليم پاشا ايضا فانه فر مع حليفه الى ايران، اما قبيلة زنكنة التي ساندت الانتفاضة فانها مالت الى العثمانيين، وتفرق المؤيدين الاخرين بين هارب الى بازيان ومسلم نفسه الى جيش الوالي طالبين الامان^(٨٩).

في اعقاب هذه التطورات اهتم الوالي بامر السيطرة على الاوضاع

في المنطقة وذلك لقطع السبل امام فلول المنتفضين للتحشد ثانية، فبعث سليمان پاشا الباباني المرافق له في تلك الحملة (٩٠) الى قبة لآچوالان بصفة امير على بابان ليتولى هذه المهمة. اما هو فقد حط رحاله في كركوك للأستراحة وفيها جاءته المعلومات عن مكان تحصن عثمان پاشا، فتوجه الى هناك ليقوم على المتحصنين الحصار، وبعد ان قطع عنهم مجاري المياه وشد عليهم الخناق تمكن من القضاء على مقاومتهم الباسلة (٩١) وفتح القلعة ليفتك بالمحاصرين فتكا ذريعا ويقتل منهم عددا كبيرا، كان بضمنهم عثمان پاشا واخوين له مع ابنه الذين قطع رؤوسهم مع انهم كانوا قد وقعوا في الاسر، ولم يكن مصير اخيه الاخر قوج پاشا باحسن منه، فقد قطع راسه مع رؤوس بعض مؤيديه المخلصين، حينما تمكن الوالي من الاستيلاء على قلعة اربيل عقب محاصرتها مدة تسعة ايام وفقا لبعض المصادر (٩٢). ولكننا نفهم من المؤرخ الموصل ياسين العمري بان الوالي قد افلح في فتح القلعة بعد محاصرتها عشرة ايام (٩٣)، وذلك عندما تمكن من استغلال حرص بعض سكان القلعة على حياتهم فاعطاهم الأمان ليفتحوا باب المدينة فتدخلها القوات العثمانية (٩٤)، لكن قوج پاشا لم يستسلم بسهولة اذ قاتل مستميتا حتى اثنى بالجراح فقتل وحملوا رأسه الى الوالي (٩٥).

ولا شك ان ذلك اقرب الى الحقيقة فبدون الخديعة لا يعقل ان تستسلم تلك القلعة الحصينة في هذه المدة القصيرة كما ان قطع رأس قوج پاشا بعد قتاله المستميت ومقتله اكثر تناسبا مع شجاعته الفاتقة. مهما كان الامر فقد تناسى العثمانيون دور قوج پاشا البطولي في الدفاع عن الموصل ايام حصار نادر شاه عام ١٧٤٣ (٩٦)، عندما حملوا رأسه على

حراهم ليتم ارساله مع الرؤوس المقطوعة الاخرى الى (الاستانة) هدية من الوالي الى السلطان (٩٧). وبذلك طويت الصفحة الاخيرة من هذه الانتفاضة.

الموقف الداخلي من سليم پاشا وحركاته:

ليست لدينا معلومات دقيقة في المصادر حول الموقف داخل امارة بابان عندما كان سليم پاشا يقوم بمحاولاته الخطيرة التي كانت تضعه في الموقف المتحدي للسلطات العثمانية، ولكننا نحاول رسم صورة تقريبية لذلك بالاعتماد على بعض الاشارات التي تفيدنا في ذلك.

عندما قرر سليم پاشا المجازفة وعزم على معاداة العثمانيين لم يكن ذلك عملا فريدا من نوعه او يفتقر الى ارضية، فقد انطلق سليم پاشا من مجتمع يسوده السخط على المسؤولين العثمانيين واجراءاتهم المجحفة (٩٨). وكان في اعتقاده انه يستطيع توجيه هذا السخط نحو هدف محدد وهو التخلص من التبعية العثمانية ولكنه اساء الاختيار في المحاولة الاولى باستناده على معاضدة نادر شاه، فالاخير كان موضع كره وسخط اكبر لدى الكرد، وذلك لتشيعه قبل كل شيء فالمعروف ان العاطفة المذهبية كانت لها دور كبير في ذلك العهد، ثم لقسوته بشكل عام و كذلك بطشه بالكرد بشكل خاص. فعندما ساق نادر شاه جيشه صوب كركوك لملاقاة عثمان طوبال پاشا عام ١٧٣٣ كان يسير على نغمة قتل الكرد وحرقتهم واسرهم اضافة الى النهب حسب تعبير احد المؤرخين (٩٩). والانكى من ذلك ان نادرا دشن مبايعة سليم پاشا له عام ١٧٤٣ بقتل كل من خالفه من الكرد (١٠٠). ولهذا لم يحصل سليم على تأييد داخلي واسع في محاولته الاولى، بل وأدت خطوته الى

انشقاق في الصف الباباني، اذا لم يرض اهل بابان عن مبادرته وممارسة ايران لنفوذها على امارتهم فانقسم اهل بابان وامرائها الى فريقين، الاول بزعامة سليم پاشا حيث كانوا يستمدون العون من ايران ويناوئون السلطة العثمانية، اما الثاني برئاسة الامير خالد پاشا اولاً ثم ابنه سليمان پاشا (١٠١) من بعده فيفضل التعامل مع العثمانيين على نيل المساعدة من نادر شاه، ويقال بان الاخير كان يقصد بتعصيد سليم، احداث هذا الانشاق بعينه وذلك لتسهيل امر السيطرة على الامارة ومقدراتها (١٠٢).

يقول امين زكي بان غالبية امراء بابان وقواتها كانت تقف الى جانب سليم پاشا ولهذا اضطر خالد پاشا الى ترك قهلاچوالان والفرار الى استانبول عام ١٧٤٣ (١٠٣) كما مر بنا سابقا ولكننا لا نوافق على ذلك فمن الارجح ان الفرار كان بسبب ميلان الكفة العسكرية الى جانب سليم نتيجة وقوف نادر شاه بجيشه الضخم معه، مما قوى ظهره و اوقع خالدا في اليأس. بالرغم من ذلك فان الفريق الثاني ظل يناويء سليم پاشا ويضع العقبات في طريقه، فعندما اعتزل خالد پاشا مسرح الاحداث ولم يتمكن ابنه سليمان من الوقوف على قدميه بعد، وقف البابانيين المعارضين لسليم الى جانب احمد خان بن سبحان ويردي الاردلاني في معركته مع سليم وقواته بالقرب من الموصل عام ١٧٤٥ (١٠٤). وعندما لم يتمكنوا من الاتيان بفعل ايجابي ضده وقفوا اخيرا موقفا سلبيا منه عندما كان يواجه حملة الوالي احمد پاشا وزادهم ثقة بموقفهم وازداد عددهم بوقوف علماء الدين في بابان موقفا سلبيا من سليم پاشا ايضا عندما عدوا من يناصره بانه يعمل على شق صفوف

المسلمين. فانفض الكثيرون من حوله كما راينا سابقا (١٠٥). ولذلك اضطر الى التحصن بالقلاع، ولكنه لم يستفد من ذلك ايضا. هذا فيما يتعلق بمحاولة سليم پاشا الاولى اما في المحاولة الثانية، فكانت انتفاضته كردية خالصة (١٠٦) ولهذا فقد حاز سليم هذه المرة على تأييد واسع من الامراء والزعماء الكرد عامة وليس البابانيين فقط بالاضافة الى البسطاء من الناس. اذ ايد الانتفاضة عثمان پاشا حاكم كويه واخيه قوج پاشا حاكم اربيل فتحالفا مع سليم، كما حصلت الانتفاضة على مساندة امير درنه سليمان بك وكذلك اشتركت فيها قبيلة زنكنة الكردية الكبيرة بالاضافة الى العديد من ابناء العشائر والناس البسطاء في البلدات والقرى الكردية (١٠٧). اذ لولا اتساع نطاق الانتفاضة الى هذه الدرجة لما ارسل الوالي سليمان ابو ليلة في طريقه للقضاء عليها، خطابا الى مناطق واسعة شملت مناطق بابان وكويه وحرير ودرنة واربيل ومساكن قبيلة زنكنة كما نوهنا بذلك من قبل. ونتيجة لهذا التأييد الواسع تمكن المنتفضون من التوسع يوما بعد يوم وصالوا وجالوا في المنطقة الكردية ليستولوا عليها شيئا فشيئا كما يقول المؤرخين العثمانيين (١٠٨).

بالرغم من كل ذلك ان مصير هذه الانتفاضة او المحاولة الثانية لسليم پاشا لم تكن باحسن من سابقتها كما رأينا سابقا. ويعود ذلك الى تأثير بعض المؤيدين بمواقف علماء الدين وتركهم صفوف الانتفاضة حسب رأي أحد المؤرخين (١٠٩) مما ادى الى خور عزيمة قوات الانتفاضة وتدني معنوياتهم، يضاف الى ذلك، هشاشة تنظيم صفوف القوات الكردية وضعف تسليحهم مقارنة بقوات إيالة بغداد المنظمة والمسلحة جيدا وذات الخبرة القتالية الحسنة الى حد كبير لانها جيش الولاية الرسمي. وكانت

نتيجة ذلك عدم التكافؤ في مستوى الاداء مما ادى الى النهاية المفجعة للانتفاضة.

نهاية سليم پاشا:

عقب هزيمته امام قوات إيالة بغداد عام ١٧٥١، كان سليم پاشا قد التجأ الى ايران والى (سنه) بالتحديد، ولكن ماذا حل به وماذا فعل هناك؟ هذا ما تختلف عليه المصادر المتعلقة بالموضوع، فيعتقد ياسين العمري خطأ بأنه قدم الى بغداد في العام التالي (١١٠٠) من هزيمته، بعد ان حصل على الامان من الوالي بناء على طلبه، فخلع عليه سليمان پاشا ولكنه تذكر ما فعل سابقا فقبض عليه وقتله غدراً (١١١١) ووفقاً لرأي آخر فان سليم پاشا بقي سنتين في ايران هائماً على وجهه ومتجولاً بين أصحاب السلطة والنفوذ هناك، لكنه لم يحصل على الدعم منهم لاسترجاع منصبه السابق حتى عاونه في النهاية كريم خان الزندي (١١٢) و وضع تحت امرته اثني عشر الف مقاتل اغار بهم سليم على سليمان پاشا بابان لكنه لم يفلح في مسعاه (١١٣). هناك من يربط بين هذه الحادثة وملحمة (دوانزة سوارتي مقيروان- المحاربين الاثني عشر الميروانيين)، فيقال بأنه عندما ورد خبر اغارة سليم پاشا وقواته على بابان الى (قلاچولان)، كان سليمان پاشا نائماً ولم يجروء احد على ايقاظه فهب بين فرسان بابان اثني عشر فارساً من المعروفين بالشجاعة والاقدام وباغتوا قوات سليم اثناء الليل قرب مريوان فاختلف الحابل بالنابل وتقاتل الجيش الايراني فيما بينهم وتفرق شملهم (١١٤).

تكون قد حدثت في تلك الفترة، اذ لا يؤيدها أي مصدر آخر. بل هناك من يخالفها ايضاً فيقول كلوديوس جيمس ريج ويؤيده لونيكرين بان تلك الحادثة تعود الى النصف الثاني من القرن السابع عشر والى عهد الامير سليمان بقبة بالتحديد (١٦٦٩-١٦٩٩م) (١١٥).

وقد وردت اشارة في احد المصادر نظنها اقرب الى الحقيقة وبموجبها فان سليم پاشا بعد ان ظل مدة عامين (١١٦) في ايران حصل اخيراً على كرسي امارة اردلان بمساعدة آزاد خان الافغاني (١١٧)، فحكم الامارة مدة اربع سنوات انعمت اردلان اثنائها بالاستقرار والازدهار، ولكنه اطيح به من قبل احد الامراء الاردلانيين في عام ١٧٥٧ (١١٨). ويبدو انه لم يتخلى عن فكرة العودة الى منصب امارة بابان حتى ذلك الزمن، فقد جاء في عام ١٧٥٨ لمنافسة سليمان پاشا بابان بمساعدة بعض العشائر الكردية الايرانية، ولكنه اندحر وفشل في تحقيق فكرته (١١٩). ويقول امين زكي بان اليأس دب في نفس سليم بعد ذلك فجاء الى بغداد طالبا العفو من سليمان پاشا ولم يفتز بطائل فمات يائساً او قتل (١٢٠). ولكن الحقيقة ان سليماً قد اصبح ضحية الغدر والخيانة.

فقد اعتقدت عادلة خانم وهي ابنة الوالي السابق احمد پاشا بان سليم هو المسؤول عن وفاة والدها على اعتبار ان المرض الذي سبب الوفاة جائته نتيجة الحملة التي قادها لقمع المذكور، ولما كانت هي المتسلطة على الامور في بغداد بشخصيتها الصلبة وممارستها النفوذ على زوجها الوالي سليمان پاشا ابو ليلة (١٢١) فقد تمكنت من تسخير كافة الامكانيات لاشباع روح الانتقام لديها وشفاء غليلها (١٢٢)، ولاشك ان الوالي نفسه كان يرى في بقاء سليم پاشا خطراً دائماً على مستقبل

النفوذ العثماني في كردستان وذلك لسجله الطويل في معاداة العثمانيين. وبذلك توافقت العوامل للقضاء على سليم پاشا.

لم يتمكن الناقدون على سليم من الحصول على ماريهم بواسطة القوة المسلحة لان ذلك الامير الباباني الصعب المراس كان بارعا في الافلات من قبضة الحملات العسكرية التي كانت تتوجه من بغداد للقبض عليه أو وضع حد لحياته، ولذلك التجأوا الى اسلوب المكر والخديعة، فتم استدعاؤه الى بغداد (١٢٣) ومنحه الوالي الامان مع التأكيدات الكافية على اخلاصه، وكذلك ارسلت له عادلة خانم منديلا حريرا من مناديلها المعطرة الثمينة التي كانت تعطيها لمقربيهها تأكيدا للاخلاص ودليلا على العفو الذي ناله من الوالي (١٢٤). وبالإضافة الى كل ذلك من المرجح انهم قدموا له عروضاً مغرية (١٢٥) لاقتناعه وتبرير استدعائه، اذ لا يعقل ان يكون سليم بهذه السذاجة التي يتكلم عنها احد المؤرخين (١٢٦) ليذهب الى بغداد ويغامر لمجرد الزيارة و دون وجود مغريات أو مبررات كافية، خاصة إذا علمنا ان المذكور كان يخاف مثل هذه المؤامرات منذ زمن (١٢٧). مهما كان الامر فقد حضر سليم الى بغداد ((يسعى الى حتفه بظلفه)) حسب تعبير احد المؤرخين (١٢٨) اذ ما كاد يستريح في بغداد من عناء السفر حتى القي القبض عليه ليسجن ويتم خنقه في اليوم التالي (١٢٩). وبهذا سقط سليم صريعا ضحية الغدر ونتيجة تحدياته الجديدة للعثمانيين.

نظرة سريعة في شخصية سليم پاشا و حركاته:

عندما ينظر المرء الى مسألة موالاته سليم پاشا لنادر شاه في محاولته

الاولى يتبادر الى ذهنه لاول وهلة بانه انتهازي وطماع للجاه والسلطة. ولكنه عندما يتمعن في الامور ويتتبع خطواته اللاحقة يدرك حينئذ بانه كان يجاهد من اجل هدف اسمى. فقد ظل يسير على منهج واضح في مناوئة السلطات العثمانية باستمرار رغم تغيير الظروف والعوامل. فاذا كان الطمع في الوصول الى كرسي بابان وتحريض نادر شاه له دفعه الى الوقوف في وجه القوات العثمانية في المرة الاولى، فما الذي حتم عليه اعادة الكرة وتحمل الشدائد مرة الاخرى في ظروف تختلف كلياً عن سابقتها، اذ كان هو على رأس الحكم في بابان هذه المرة كما اصبحت حليفته السابقة ايران خائرة القوى بعد زوال نادر شاه من مسرح الاحداث، يضاف الى ذلك استعداد العثمانيين للتعاون معه والاعتراف بحكمه فيما لو اخلص ورضي بتبعيته لهم (١٣٠).

ان عدم تخليه عن فكرة التحدي دليل على امتلاكه لبرنامج واضح يسعى الى تحقيقه ولكنه مع ذلك كان يضطر في بعض الاحيان الى تأجيل خطته مؤقتاً، وذلك عندما تكون الظروف في غير صالحه اذ يلجاء الى المماطلة أو المراوغة كما يسميها احد المؤرخين (١٣١)، وهي نتائج كياسته وحنكته السياسية. فعندما ضيق الوالي احمد پاشا الحصار عليه في عام ١٧٤٧ فانه سعى الى المصالحة واذعن لجميع شروط الوالي (مؤقتاً) مقابل عدم ذهاب كل شيء ادراج الرياح. كما كان يربط في خندق واحد مع العثمانيين عام ١٧٤٩ عندما كان سليمان پاشا بابان يهدد مركزه في قهلاچوالان. بالإضافة الى ذلك فانه كان ملماً بسياسة توازن القوى وبارعا في استغلالها فلم تكن المودة دون شك سبباً لاتصاله بأيران بل كان يحاول اتخاذها سندا يستطيع بها مواجهة الدولة العثمانية، وكان ناجحاً في ذلك طالما كان هذا السند قوياً، فلم يقوى

الوالي احمد پاشا على مهاجمة سليم پاشا طوال بقاء نادر شاه الذي ادى مقتله الى اضطراب ايران وضعفها (١٣٢).

وفيما يتعلق بعلاقاته مع ايران يجدر بنا الاشارة الى ان سليم پاشا باتصاله بايران وطلب الدعم لمقاومة العثمانيين كان اول امير باباني يطرق هذا الباب الذي فتح على مصراعيه امام امراء بابان الاخرين لاحقا (١٣٣)، ولم يستطع العثمانيون اغلاقه، الامر الذي احدث ثغرة كبيرة تمكن الايرانيون من النفاذ خلالها والتدخل في شؤون الامارات الكردية في كردستان الجنوبية بشكل عام وامارة بابان على وجه الخصوص، مما كان يعني التدخل في شؤون الدولة العثمانية، ولطالما اصبح ذلك عاملا ساهم في نشوب الحرب بين الدولتين العثمانية والايرانية (١٣٤).

ان كان يؤخذ على سليم پاشا تعاونه مع نادر شاه في محاولته الاولى عام ١٧٤٣ فانه اعتمد على القوى الذاتية في عام ١٧٤٩، ولذلك كانت انتفاضته هذه كردية خالصة. اذ رغم تأكيد بعض المصادر العثمانية على اتصال سليم پاشا بالاييرانيين هذه المرة ايضا (١٣٥)، فان ذلك لا يصمد امام الحقيقة، فخلال عرضنا لاحداث تلك الانتفاضة لم نشاهد تدخلا ايرانيا واحدا، كما انه من المستبعد ان تمد ايران يد المساعدة لغيرها في حين تعاني نفسها من اضطرابات جمّة. اذ لم تخرج ايران من دوامة تلك الاضطرابات التي بدأت بمقتل نادر شاه واستمرت حتى انفراد كريم خان الزندي بالسلطة عام ١٧٥٠ (١٣٦).

كانت تلك الانتفاضة على درجة كبيرة من الوعي والنضوج السياسي، اذ كانت تحمل أهداف وطنية ولها تخطيط منظم الى حد ما.

فبعد ان وطد نفوذه داخل امارته، ركز سليم پاشا جهوده نحو تحقيق الهدف الذي طالما ناضل من اجله وهو اقامة كيان سياسي مستقل في كردستان. ورغم ان ذلك الهدف يعد مبكرا بالنسبة لتلك الحقبة التاريخية، الى ان هناك ما يبرهن عليه. فعندما انبرى سليم لتحقيق الهدف المشار اليه كان اميرا على امارة ذات دعائم راسخة ويتمتع بصلات طيبة مع إيالة بغداد كما مر ذكر ذلك، فما الذي دعاه للخروج على السلطات العثمانية وتعرض نفسه وموقعه للخطر ان لم تكن تلك الطموحات السياسية المذكورة. وعلى صعيد اخر فانه حاول تبني خطة شاملة في هذا المجال، بسعيه الى تشجيع غيره من الزعماء الكرد وافراده لتبني موقفه الرامي الى رفض النفوذ العثماني على مناطق كردستان مما يمكن ان يدرج ضمن اطار مشروع اكبر وهو انهض كردستان ضد العثمانيين، فيقول احد المؤرخين العثمانيين عندما يذكر اعمال سليم پاشا التي ادت الى تعرضه لحملة إيالة بغداد في عام ١٧٤٧ مضييفا: ((وتحريضه الاكراد على التمرد...)) (١٣٧) وان لم يتمكن من جني ثمار تلك المحاولة اثناء الحملة المذكورة وبقي وحيدا في الساحة، فانه نجح في ذلك بعد مضي بضع سنين، فقد تمكن حوالي عام ١٧٥٠ من ضم حليفين كرديين الى مشروعه، وهما عثمان پاشا وقوج پاشا حاكمي كويه واربييل، الى جانب استنهاض عناصر اخرى كما راينا. بالاضافة الى ذلك هناك اشارات صريحة في بعض المصادر حول اهداف سليم پاشا السياسية، فعندما يتحدث المؤرخ العثماني نفسه عن اسباب حملة سليمان پاشا ابو ليلة عام ١٧٥١، يعلن صراحة بان سليم پاشا: ((اعلن الانفصال والاستقلال)) (١٣٨) كما ان مؤرخا اخر نقل معلوماته في هذا المجال عن المؤرخ العثماني (نشاطي) الذي كان مرافقا للوالي سليمان

ابو ليلة اثناء الحملة نفسها ، يقول عن اهداف سليم ما نصه: «أو اراد ان يكون بنجوة من السلطين {يقصد الايرانية والعثمانية}» (١٣٩) ولهذا فكان هذا المؤرخ على صواب حقا عندما قال عن نتائج الحملة التي قضت على الانتفاضة المذكورة بانها كانت فتحا جديد لانحاء الكرد (١٤٠) اذ كان المنتفضون قد تمكنوا من الاحتفاظ باستقلال المنطقة لفترة من الزمن.

وفيما يتعلق بمنطقة الانتفاضة بوسعنا ان نؤكد على شمولية الانتفاضة وتوسعها الى درجة انها كانت قد عمت ارجاءً واسعة من كردستان الجنوبية دون شك، اذ ليس من العرض ان يصف مؤرخ عثماني نتائج الحملة بقوله: ((وبذلك هدأت الامور في جميع كردستان)) (١٤١) ولهذا فلم يبالغ المسؤولون في إيالة بغداد عندما استقبلوا الوالي سليمان پاشا باحتفال مهيب عقب قضاءه على الانتفاضة وعودته الى بغداد (١٤٢) كما لم يكن من الغرور حينما امر الوالي باعلان نبأ انتصاره في جميع الانحاء وفي العشائر (١٤٣). بالاضافة الى كل ذلك نستطيع الجزم بان السلطات العثمانية في الباب العالي قد اهتمت بمسألة الانتفاضة وادركت خطورتها، اذ كانت تنظر اليها على انها اكبر من تمرد عشائري محدود دون شك، فارسال رؤوس المنتفضين المقطوعة الى الاستانة كدليل الظفر خير برهان على ذلك.